

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
أوفىونات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين
رقم ٨١ - مابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٢٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٠ - الموافق ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ » السنة الخامسة

أحاديث التلاميذ المصريين يوم العودة إلى المدارس « لكاتب كبير »

في أكثر البلاد الأوربية والأمريكية يكون « يوم العودة إلى المدارس » يوماً خفيف الظل ، لطيف الروح ، وهو عند تلاميذ تلك البلاد أجل أيام العام الدراسي الجديد ، ولكن مأساة الحال في ذلك اليوم ؟ أيكون في تنفس أرواح المدرسة من جديد ، ولها في قلوب أكثر التلاميذ مكان ؟ أيكون في تسلم الكتب الجديدة ، ولها جاذبية يتشوف إليها عقلاء التلاميذ ؟ لا هذا ولا ذلك ، فهناك عدوية تفوق هذين المستعنيين للكرمين ، وهي عدوية الأحاديث التي يتجاذبها التلاميذ ، وم يقصّون أخبار الصيف وما وقع لهم فيه من نوادر وطرائف ، وما شاهدوا فيه من غرائب وأعاجيب ... إلى والله ، فهناك لغة طبيعية ، هي لغة الحديث مما رأينا وسمعنا في أيام الراحة من متاعب الدروس ، وهي لغة لم نذوقها ولم يذوقها أبناؤنا ولا تلاميذنا ، ولن يلتفت إليها الرتبون للصربون إلا يوم يؤمنون بأنها تصنع في خلق الحيوية الدوقية والروحانية ما تعجز عنه المدارس والمناهج والكتليات .

الفهرس

صفحة	
١١٣٧	أحاديث التلاميذ المصريين { « لكاتب كبير » ...
١١٣٩	يوم العودة إلى المدارس ..
١١٤٣	الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ...
١١٤٧	كيف يكتب التاريخ ... : الدكتور حسن ميثان ...
١١٥٠	كليسة ودنة ... : الأستاذ عبد السلام محمد هارون ...
١١٥٤	معركة الأطلسي ... : الأديب محمد شاهين الجوهري ...
١١٥٧	المصريون المحدثون : ... : للمستشرق ادورد وليام لين ...
	شمالهم وعاداتهم ... : بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١١٥٧	وقفة على دار [قصيدة] : الدكتور ابراهيم تايي ...
١١٥٧	غيمة ... : الأديب عبد الرحمن الخجسي ...
١١٥٧	من لواحي الذكري ... : الأستاذ محمد كامل حنة ...
	إلى البسدر ... : الأديب محمد عبد السلام كفاي ...
١١٥٨	ما رأيكم في هذا الجواب - { الدكتور زكي مبارك ...
	مشكلة جديدة ...
١١٥٩	من جديد ... : الأستاذ الكبير (ا . ح) ...
	الذي حرك العالم ... : الأستاذ أحمد طي الشحات ...
	استيضاح ... : الأديب أحمد الصرياسي ...
١١٦٠	في الفسة ... : (ح . ح) ...
١١٦٠	ذهب آل هوهنزلرد [قصة] : الأديب سيد ابراهيم البكار ...

فإذا يقول للتلاميذ المصريون بعضهم لبعض يوم يلتقون

وهل لحضرات المدرسين هيون وأكثرهم يقضى الإجازات في رحاب القهوات ؟

وما قيمة المدرس القى لا يجد ما يحدث به تلاميذه عن مشاهداته في أيام الصيف ؟ ما قيمة الليون البليدة التى لا تتطلع إلى الجديد من مشاهد الوجود ؟

ولكن ما الموجب لإبقاء المدرس بهذا الهجوم المنيق وهو عضو من الأسرة المصرية ، وهى أسرة لا تفكر في إعداد ميزانية لأيام الإجازات ؟

أيام العمل مرجعها إلى البيت ، وأيام الراحة مرجعها إلى البيت ، وأيام المرض مرجعها إلى البيت ، ولو أصبح لهؤلاء أن يقبّروا في بيوتهم لعدوا ذلك من دلائل التوفيق !
فيا بنى آدم ، من أهل هذه البلاد ، تذكروا أن التلّ المصرى يقول : « الحركة بركة » وتذكروا أن لبنائكم منافع من التعرف إلى أقاليم النيل السميد ، إن كانت لكم غاية في تشييف أولئك الأبناء

ماذا يقول المدرس لتلاميذه يوم العودة الدراسية ؟
وماذا يقول للتلاميذ بعضهم لبعض في ذلك اليوم ؟
ضرب حجاب الغفلة على أولئك وهؤلاء ، فلن يجدوا غير الحديث عن صفارات الإنذار وأسمار القطن وغلاء الأقوات وهو حديثٌ مُعاد لا تشرح لسرده القلوب
لأولئك وهؤلاء أن يستندوا بجزم السادى عن مشاهدة بعض الأقطار الشرقية أو الغربية ، فاعذروهم في العجز عن مشاهدة الأقاليم المصرية ؟

أريدون أن تقوم وزارة المعارف بتكاليف تلك الرحلات ؟
كنت أرجو أن يكون في أنفس المدرسين والتلاميذ ما يوجب جوب الأقاليم المصرية مشياً على الأقدام ليمروا كيف يكون « طولها شهر وعرضها عشر » ، كما قال عمرو بن العاص ، ولكن ... ولكن أبناء هذه البلاد مصريون لا أعراب !
نحرم كوا قليلاً ، يا أبناء مصر ، فالحركة فى أسوأ أحوالها أفضل من السكون ، لأن الحركة حياة والسكون موت ،
أعانى الله وإياكم على التخلق بأخلاق الأحياء

« ثاب »

في مطلع العام الدراسي الجديد ؟ وما هى موضوعات الأحاديث التى يتجاذبون بها في ذلك اليوم ؟

الواقع يشهد بأننا لم نبذل جهداً قوياً أو ضعيفاً في تلوين البلاد المصرية ؛ فلم ننشئ فيها غابات ، ولم نلتفت إلى ما بها من بحيرات ، ولم نحاول تشويق أبنائنا وتلاميذنا إلى درس ما فيها من نبات وحيوان ، ولا فنكر جماعة منا في إعداد المناهج لأيام الصيف ، وهى في مصر أطيب الأيام ، وإن تعرضت لوهج القيقظ من حين إلى حين

الحق أننا لا نفكر في حقوق الأبناء والتلاميذ ... وهل نفكر في أنفسنا حتى نفكر فيهم ؟ إن عشنا رتيب رتيب ، وأكثرنا يقضى أيام الإجازة على النحو الذى يقضى به أوقات الفراغ في موسم الأعمال ، فلا ينتقل من بلد إلى بلد ، ولا يتيح لسينيه فرصة التطلع إلى منظر جديد ، وكذلك نحبس أبنائنا في بيوتنا أيام الصيف . إلا أن نتلطف فنسمح لهم بالتجول في رحاب تلك الليوت ، ثم تكون النتيجة أن يلقوا رفاقهم يوم افتتاح العام الدراسي وليس عندهم ما يتحدثون به غير المناصرات للصبيان ، وهى لا تخرج عن التفرزل الزيف أو للصحيح بخادعات الجيران !

أنا أريد أن يلقي للتلميذ رفاة في مطلع الخريف وعنده أشياء يحدث بها أولئك الرفاق ؛ كأن يقول إنه قضى أياماً أو أسابيع في رحلات طريفة تعرف بها إلى بعض خصائص هذه البلاد ، وكأن يقول إن « بحيرة قارون » لها تاريخ لم تظفر بمثله « بحيرة التماسح » ، وكأن يقول إنه عجب من الأقدار التى فكرت منذ الأزل في تهيتة الوسائل لإقامة خزان أسوان ، وكأن يقول إنه عرف بالضبط مواطن اللوبيين ، وكان لهم تاريخ في مناوشة قديما المصريين ، وكأن يقول إنه عرف المسجد الثانى ، وهو المسجد القى بنى بمد المسجد الجامع بمدينة القسقاط ، وكأن يقول إنه عرف للوجب الذى قضى بأن تكون هناك منافسات ظاهرة أو خفية بين أهل الشمال وأهل الجنوب

أريد وأريد ، ولكن المدرسين والآباء يصدونى عما أريد فإن اعتذر الآباء بشواغلهم اليومية ، فاعذار المدرسين ولم مواسم يرون بها مع تلاميذهم ما يشاهدون ، لو كانت لهم هيون !

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الإسلام الصحيح — القدوة الصالحة أرفع من البرهان
— مناجاة روحية — مجز المدينة الأوربية من إقراء
السلام لا يجب أن يصرفكم عن فهم روحها الأصل ...

الإسلام الصحيح

رجاني الأستاذ أحمد كامل مدرس علم النبات بمدرسة مشهور
الزراعية أن أجيب عن أسئلة وجهها إلى حضرة الأديب تادرس
مسيحة وكيل بريد أخطاب ، والأسئلة تدور حول التعريف
بالإسلام الصحيح

ويظهر أن هذه الأسئلة وُجّهت من قبل إلى حضرة
الباحث للفكر الأستاذ فريد وجدي ، كما وُجّهت إلى بعض
الوعاظ ، وإلى أحد الأساتذة بكلية أصول الدين
ويظهر أيضاً أن صاحب الأسئلة رجل قد اطلع على كثير
من المباحث الإسلامية ، فثابته يشهد بأنه قرأ بعض التفسيرات ،
ونظر في بعض المذاهب ، وكون نفسه فكرة واضحة أو غامضة
عن العقيدة الإسلامية ، بحيث يستطيع المجادلة في كثير من
المسائل التي يدور حولها الخلاف بين المسلمين والمسيحيين

ويظهر كذلك أنه يقوم أن الإجابة عن أسئلته ضرب من
الاستعجال ، وإلا فكيف جاز له أن يتعداني فيقول : هذا موطن
للشجاعة إن كنت من الشجعان !!

وأجيب بأن هذه الأسئلة ترجع إلى غرضين اثنين :
الأول هو الرغبة في درس بعض المشكلات الدينية ، والثاني
هو للشوق إلى فهم أسرار العقيدة الإسلامية . فإن كان الحافز
هو للنقض الأول ، فأنا غير مستعد للمشاركة في هذا الجدل ،
فقد علمتني التجارب أن المجادلة التي تقع بين رجلين من دينين
مختلفين ، تنتهي غالباً إلى تعميق هوة الخلاف ، ولا نجيئ منها
غير ثمرة القسرة والشقاق ، إلا أن نكون وصلنا إلى أشرف
الغايات في التفتام للملئ ، وذلك غير مضمون ، ما دام الجدل
قد انتقل إلى الجرائد والمجلات ، فقد ينقلب الجدل إلى الحاجة
من حيث لا تريد

وإن كان الحافز هو للشوق إلى فهم أسرار العقيدة الإسلامية
فأنا أرجو حضرة السائل أن يراعي المسائل الآتية حين ينظر
في الكتب التي تشرح أصول الدين الإسلامي :

أولاً : لا يجوز القول بأن الإسلام مسؤول عن جميع
ما سطر باسمه عن حسن نية من أقوال بعض الوعاظ والفقهاء ،
حتى يجوز اتهامه بقبول الأباطيل والأضاليل ، كالذي يقع
في كلام أهل لفظة عن روح الإسلام ، وهو من أوهامهم براء
ثانياً : لا يجوز الاعتماد على ما قاله بعض أئمة المسلمين في ساعة
غضب ، كالذي نقله الأديب تادرس مسيحة عن الشيخ محمد عبده
إذ يقول : « لو أخذنا مسلماً من شاطئ الأطلنطي ، وآخر من
تحت جدار الصين ، لوجدنا كلمة واحدة تخرج من أفواههما
وهي : إنا وجدنا آباءنا ... »

فذلك كلمة قالها للشيخ محمد عبده في ساعة من ساعات
غضبه على من كان يناوئه من رجال الدين بلا فهم ولا إدراك ،
والأفنى كلمة مقترنة على المسلمين ، وفيهم ألوف الألوف من
أهل البصيرة والليقين

ثالثاً : يجب أن يكون مفهوماً أن تقاليد الإسلام تعرضت
لما تعرضت له تقاليد سائر الديانات من التشويه والتجريف ،
فن الظلم أن يؤخذ الإسلام بمباريات دُوِّنت في عصور الظلمات ،
ولو نُصبت إلى بعض الأكابر من العلماء

رابعاً — سرت أوقات على للباحثين من المسلمين وهم
لا يفتنون إلى خطر التساهل في سرد للظنون والفروض ،
ولو عقلوا لأدركوا أن ذلك للتساهل ستكون له عواقب سود ،
كان يصبح حجة بفتن بها خصوم للشريعة الإسلامية ، وهم
قد انتفعوا بما في بعض التفسيرات من أباطيل

خامساً — يجب أن نفهم أن الإسلام قد سيطر على كثير
من أمم الشرق والغرب ، وهذه للسيطرة نفته من جانب
وأضرته من جانب : نفته لأنها كانت شاهداً على قوته الذاتية ،
وأضرته لأنها كانت للسبب في مزج روحه الأصل بأوشاب
الآراء الموروثة عن تلك الشعوب ؛ فمن العدل والإنصاف أن ننزه
الإسلام عما أُضيف إليه بسبب لفظة أو بقصد التسهيل

سادساً — قد اختلف المسلمون أنفسهم لأسباب هضمية
أو سياسية ؛ وكان من نتائج هذا الاختلاف أن يتأثر المؤلفون
بالنزعات المعنوية والسياسية ، وهي نزعات توجب على الباحث

القدرة الصالحة أنفع من البرهان

ويرجو الأدب تآدرس مسيحة أن أنتم بمزايا الإسلام ليتم . وأقول : إن السكية لا تهمني ، ولو كان الأمر بيدي لشذبت الإسلام من بعض المنصون الطفيلية ، فما انتصر الإسلام بالأرقام وإنما انتصر بالماني ، وهذا الأدب قد وعد بمتابعة ما أكتب في هذا الموضوع الدقيق ، فليتدبر هذا القول :

لا ينتقل الرجل من دين إلى دين بفضل الحجج والبراهين إلا في حال للتجرد من مستور التوازع والأهواء ، ولو كان للناس يصنون في كل وقت إلى صوت للعقل لأراحوا كواهلهم من ألوف المتاعب والمصائب

فلم يبق إلا باب واحد من أبواب الهداية ، وهو القدوة للصالحة ، للقدوة التي تخلق الجاذبية الروحية فتقلل القلب من مكان إلى مكان بلا دعوة ولا نداء

وهذه القدوة هي التي استطاعت في الأزمان الماضية أن تحول جماهير الأقباط إلى الإسلام عن رغبة صحيحة وقلب سليم وكان للأقباط الذين أسلموا فضل كبير في إذكاء الروح الإسلامي بالديار المصرية . فكان منهم نوابغ في الفقه والتوحيد ، واستطاع جماعة منهم أن يصلوا إلى أعظم المناصب الإسلامية بمجدارة واستحقاق ، وليس أمام الإخلاص مستحيل

وما أحب أن أكرم رغبتي الشديدة في وحدة الأمة المصرية من الوجهة الدينية لتندم أسباب الشقاق الذي يثور من وقت إلى وقت ، ولتغنى على الفتنة التي تهددنا من حين إلى حين باسم الأكثرية والأقلية ، وهي فتنة لا ينتفع بها غير الأعداء . ولكن هذا الغرض لن يتحقق في عام أو عامين ، فإذا نصنع إلى أن تربد القادير أن يتحقق ؟

نعتصم بالأخوة الوطنية فلا يبنى بمضنا على بعض ، ولا يأنهر فريق في حق فريق بسبب اختلاف الدين

والأخوة الوطنية تحتاج إلى حراسة قوية ، وهي لا تقوم إلا على قواعد من الأخلاق الصالح . والخلق الصحيح يجب أن يحب لأخيك ما يحب لنفسك . وبوم نتحل بهذا الخلق تندم للفوارق أو تكاد بين المختلفين في الدين ، ويضر المسيحي في مصر بجاذبية نحو الإسلام ، وهي الحجر الأول في بناء الإخاء وهنا شبهة يجب عرضها بلا مواربة لنعرف كيف نهدها

أن يحترس ويحفظ ، حتى لا يحتمل الإسلام ما لا يطبق ، ولو كان من غير المسلمين ، لأن نزاهة الحكم واجبة على الجميع سابقاً — لم يفضل أكابر المسلمين عما أضيف إلى الإسلام من الأباطيل ، فكل اعتراض له دفع ، وكل شبهة لها تفنيد ، فإن رأيت ما يسوءك من كلام بعض الوعاظ أو بعض الفقهاء فارجع إلى ما دحض به على ألسنة الموهوبين من أهل الإسلام للصحيح ، وذلك في مقدورك إن أردت الاهتداء

ثامناً — بيننا وبين ظهور الإسلام نحو أربعة عشر قرناً ، فحدثني أيها المصنف ، حدثني كيف تمر هذه القرون بدون أن تجنى على ذلك الدين بالتحريف والتزييف ؟ وهل سمعت برأي عاش أربعة عشر عاماً بدون أن يتعرض للمسح والتشويه ؟ فكيف يعيش دين أربعة عشر قرناً وهو في آمان من أهل التزديد والافتراء ، وله ملايين من الخصوم والأعداء ، فضلاً عما له من الأصدقاء الجهلاء ؟

إذا صح هذا — وهو صحيح صحيح — فكيف يؤخذ الإسلام بآراء مدخولة أملاها الحقد الأسود ، أو صاغها للتودد إلى بعض الوثنيات البوائد في الممالك الآسيوية والإفريقية والأوربية في عصور غاب عنها لفتافد الرشيد ؟

ثامناً — المصدر الأسيل للعقيدة الإسلامية هو القرآن ، فإذا في القرآن من اللبس والغموض ؟ وماذا فيه مما يوجب الشك والارتياب ؟

في القرآن كلمات تحتاج إلى تأويل ، لبعد للمهد بيننا وبين ظهور القرآن ، وأنا حاضر لتأويل تلك الكلمات ، على شرط أن يكون مناظرى طلاب فهم وحق ، لا عشاق لجاجة وعناد

عاشراً — عاش الإسلام نحو أربعة عشر قرناً برغم القواصف والمعاصف والأعاصير ؛ وأنشئت في دحضه وتزييفه ألوف الألوف من الخطب والرسائل والفصائد والمؤلفات ، فهل يتصور عاقل أن للباطل تكون له مثل هذه القوة الدامية ؟

إن كان للباطل مثل هذه الصلاحية للبقاء فساغير رأيي ، وسأقول إن الثبات على الخطوب من صور الحق الثلاب ، ولو قيل في معنى الثبات ما قيل « بنض للنظر عن عقيدتي الصوفية في الأنس بجميع صور الوجود »

والإسلام باق ، ولن يبيد أبداً ، لأن روحه مقبوسة من جبر الخلود

والروح من أسرار وغرائب وأعاجيب ، وقد كنت أخشى أن
ينقضى العمر قبل الظفر بذلك للطلب للنشود

وأظهر ما عرفت من تلك الخصائص هو الشوق إلى إدراك
سراير الوجود ، بما فيه من النقائص أن يجعل ما أقيم عليه من
الأساس ، كأن يجتمع فيه البفض والحب والدمامة والجبال
وأعجب العجب أن يصح عندي أن ليس في الدنيا شر
بالمعنى المعروف لهذا اللفظ ، فاصرت في أزمة إلا أجمعت
عواقبها ، وعدتها من فضل النعم الوهاب ، ولا تشكر صاحب
أوصديق إلا كان ذلك للتشكر فرصة لدرس أهواء النفوس
والقلوب

وأعجب من هذا أن تكون الوشايات والنائم والأراجيف
مصدر قوة واستملاء ، فما أذكر أبدأ أني تهيت أقوال للناس ،
أو نصبت لأوهامهم أي ميزان ، إلا أت بلفت ذهني إلى
الاستفادة من ذلك في أبواب التعليم والتنشيف

وأنا أبتسم كلما رأيت ناساً يتوهمون أن في مقدورهم أن
ياسروني فأطيع ، كأنهم يجهلون أن أؤرق جفونهم عابداً
متمعداً ليعرفوا كيف يكون الاستصباح بظلام الليل ، وليهتدوا
إلى السر المكتون في سواد اللداد

والحق كل الحق أني رجل طوب القلب ، وتلك الطيبة هي
سر شقائي بالناس ، فإنا أريد أن أرفع للنشاة عن قلوب أهل
الجلود ، ولن ترفع تلك للنشاة بغير مشرط يؤلم ويورجع ،
وإن كان لا يريد غير النفع الصحيح

ولو كانت غايي من حل راية القلم هي الانتفاع المادي
لحلت سبيلاً غير هذا السبيل ، فلأفلام ميادين تصل بأصحابها
إلى الثراء للمريض ، ولكن أين هذا مما أريد ؟ وما قيمة الدنيا
وأما أن لا تنس لغير وجبة واحدة في كل يوم ، وما أراد الله
أن أعرف معنى الظلم والجور في غير المعنويات ؟

غايي الأضيلة هي رفع للنشاة عن قلوب الجامدين من أبناء
هذا الجيل . والجهاد في طب القلوب قد يفضل الجهاد في طب
العيون

فأ ذلك الصراخ الذي ينبعث من بعض الجرائد والمجلات ؟

من الأساس ، وهي للشبهة التي تصيح وتصرخ في كل يوم
بأن اختلاف الدين له دخل في المشكلات للماشية المتصلة
بالوظائف الرسمية

وأساس الشبهة أن المتعلمين من الأقباط كانوا قبل عشرين
سنة يجدون الوظائف بلا صعوبة ، وهم اليوم لا يجدون وظائف
إلا بعسقة وعناء

هذا حق ، ولكن تعليله سهل ، فالمتعلمون قبل عشرين
سنة من المسلمين والأقباط كان عددهم أقل من عدد الوظائف ،
فكان الشاب المتعلم يجد وظيفة تريحه من هموم البطالة ، ولو كان
من حملة الشهادة الابتدائية

أما اليوم فعدد الوظائف أقل من عدد المتعلمين ، وهي أزمة
تواجه المسلمين بأكثر مما تواجه الأقباط ؛ بسبب النسبة
السكانية ؛ والشبان الأقباط يعرفون هذه الأزمة بلا جدال ،
والشكوى لا تصدر عنهم ، وإنما تصدر عن آباؤهم الذين نشأوا
في عهد الرخاء ، فهم يظنون أن المنصب الديني هو الذي ضيق
ميدان الوظائف ، ولا يدرون أن قانون المرض والطلب هو الذي
خلق ذلك الضيق

وإنما نصمت على هذه الشبهة لأنها موجودة بالفعل ،
ولأن أذاها يواجهنا في كل يوم ، ولأن التحرر منها يبدو غيوماً
تمكر سماء هذه البلاد ، بدون أن يكون للمسلمين يد في حرك
ظلالها السود

للشاب القبطي قد يتجاهل الواقع فيمل نفسه بأنه مضطهد
لقبطيته ، فكيف أعلن للظلم الذي أحاطه منذ أعوام طوال واسمى
محمد ورئيس اسمه محمد ؟

وأنا بعد هذا أرجو أن يفتح الله علينا جميعاً فلا نمانى أزمت
هذا الزمان ، ولا يفسد ما بيننا بسبب الماش ، وهو غاية ثانوية
في حيوات أصحاب المبادئ والآراء

أتراني أجبثك بصراحة وصدق ، يا وكيل للبريد في أخطاب ؟

مناسبة روحية

كدت أعرف بعض الخصائص التي يمتاز بها قلبي وروحي
لطول ما أجهدت نفسي في التعرف إلى ما ينطوي عليه القلب

وفهم ما تقوم عليه من قواعد وأصول ، وقد نعرف ثم نكتم ليصح وقاؤنا للشرق ، كأن من الحرام أن ندل قومنا على مصادر الحيوية في أقطار الغرب !! وهناك آفة أظن وهي غفلة بعض من عاشوا في أوروبا عن التعرف إلى مواهبها العلمية والروحية والاقتصادية والحربية ، فانا أعرف شخصاً عاش في تلك البلاد سبعمائة وعشرين سنة ثم عاد وهو لم يتغير ولم يتبدل ، ولم يعرف من خريطة البلد الذي عاش فيه غير خطوط معدومة المدلول ثم انسجم حين عاد مع بيئته القديمة بلا تحفظ ولا احتراس ، وكان للظن أن يغيرها من حال إلى حال ، ولكنه عاش في أوروبا معصوب العينين فلم يعرف ما فيها من أسرار ليدنو قومه حين يعود يزداد جديد ولهذا الشخص أمثال وأمثال ، وجهلهم أوراؤهم هو السبب في صد مصر عن فهم الاتجاهات للسياسية والاقتصادية في البلاد الأوروبية

إعرفوا أوروبا . إعرفوها . إعرفوها ، لتتقوا شرها عن بصيرة وإدراك ، واحترسوا ممن يرميكم أن أوروبا ذهبت ولن تعود أوروبا المبهلة باقية إلى أزمان وأزمان ، فادرسوها بعناية لتعرفوا محالهما للظاهرة والخفية ، ولتتقوا على خضرها المستور من التوود إلى أقطار الشرق ، فالجسم المزخرف الأملس هو أظهر شمائل الحية الرقطاء ، وما قال أحد إنه رأى أنياب الحية إلا بعد التزود من سمها الزفاف ... والله الحفيظ ، وبه نستعين

زكي مبارك

وما بال قوم يشهدون على أنفسهم بالضعف من كلمة الحق ، وكان الظن أن يكونوا رسل هداية وتوفيق

وما بال فلان يحشد جيشاً من الثرثارين لإيذائي ، ولي عليه فضل سيذكركه صاعراً أمام صاحب القز والجبروت ، إن كان لثله يوم للبحث مكان ؟

أما بعد ، فإنا أردت بهذه الكلمات غير المناجاة الروحية ، وأنأجي روي فاقول :

من أي جوهر صاغك الله ، أيها الروح ، وقد بقيت سليماً على رغم ما اعترض طريقك من ألوف الصعاب والمراقيل ؟

واجهت بلادك وزمانك بكل ما تريد بلا تهيؤ ولا إشفاق ، وبتى عليك الأصدقاء قبل الأعداء ، ثم بقيت رحيماً بالعدو ، وبراً بالصديق ، كأنك لم تدرك ما يبت أولئك وهؤلاء

من أي جوهر صاغك الله ، أيها الروح ، وقد غلبت من غلبت وقهرت من قهرت ، مع الترفق الشديد بصرك ؟

يعز بك المناضلون مرور الطيف العابر فلا يبقون غير لحظات ثم يختفون ، وإن كان مرورهم أعنف من الكابوس للتفيل ؛ ثم تبقى أنت أنت في سنة ١٩٤١ كما كنت في سنة ١٩١٩ ولا يكون لناضليك غير الازدهاء بأنهم ساجلوك ساعة

من زمان ، وذلك حظه في هذه الدنيا من أصول التشايف أيها الروح ، صاغك الله كما أراد ، فله الحمد وعليه التناء

أسرار المربية الأوروبية

لم تمر على أوروبا أزمة أقسى وأعنف من الأزمة التي عانتها في العامين الأخيرين ، فقد اندحرت ممالك كنا نرى اندحارها من المستعيلات ، واستشاطت شعوب لم تكن تنتظر أن تستطيل وصح عند الأكثرين أن المدنية الأوروبية أفلست كل الإفلاس ، بعد خيبتها في إقرار قواعد العدل والسلام

وأقول إنه يجب أن ندرس أوروبا من جديد ، وأن نستمد لدفع شرها كل الاستمداد ، فن الظاهر أن طمع طغافها لن تكون له جذود ، وإن عللوا بمعسول الأمانى والمواعيد وآفتنا منذ أزمان هي الغفلة عن مراهى المدنية الأوروبية ،

إدارة البلديات — تنظيم

تقبل العطاءات لغاية ظهر ٤١/٩/٣٠

ببلدية المحلة الكبرى عن توريد شعير

وتطلب الشروط منها مجاناً ٨٠٩٧

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٤ —

مجمع المراجع والأصول التاريخية

الخطوة التالية بعد اختيار موضوع البحث التاريخي هي عملية جمع المادة التاريخية عن ذلك الموضوع سواء من المراجع العامة والخاصة أو من المصادر والأصول المطبوعة والمخطوطة، مع جمع ودراسة الآثار والمخطوطات التي تتعلق بذلك الموضوع^(١). والمراجع العامة والخاصة تقيد في إعطاء فكرة عامة عن العصر الذي يكون موضوع البحث جزءاً منه. وعدم الاستفادة بما كتبه السابقون يعتبر منيعة للوقت وإخلالاً بشروط البحث العلمي؛ فينبغي على كل جيل من المؤرخين أن يعرف ما كتبه السابقون، وأن يبدأ حيث انتهوا، وأن يعمل مؤرخ اليوم لكي يمد مؤرخ للغد. والمراجع العامة والخاصة تساعد أيضاً في كشف بعض الأصول التاريخية المجهولة وتفتح آفاقاً جديدة للبحث. وللباحث الذي يكتب في ناحية من تاريخ مصر في القرن الثامن عشر مثلاً ينبغي أن يدرس بعض المراجع التي تناولت تاريخ مصر منذ أقدم العصور، كما يدرس بناية المراجع التي تبحث في تاريخها أثناء القرن الثامن عشر، ويطلع بما كتبه الرحالة الذين زاروا مصر من الشرق ومن الغرب، ويدرس ما دونوه من المعلومات والشهادات، وذلك لكي يفهم تاريخ العهد للمعنى الذي يرغب في الكتابة عنه.

وكيف يمكن للباحث أن يعرف كل المراجع العامة والخاصة والأصول المطبوعة من الناحية التي يرغب في دراستها؟ الإحاطة بذلك ليست أمراً سهلاً. ويمكن للباحث في أول الأمر أن يستعين بالاطلاع على بعض المقالات في دوائر المعارف فيعرف

(١) يرى الدكتور أسد رستم عملية جمع المصادر والأصول بالتفصيل بمعنى الجهد، وأخذ ذلك من المحدثين مثل أبو حاتم الرازي من أعيان القرن ٣ هـ. وانجم كتاب الدكتور رستم من مصطلح التاريخ ص ٦-١.

بعض المراجع والأصول التي نهجه. ثم يرجع إلى كتب الليبليوغرافيات (المراجع) التي تناول موضوع دراسته. ولقد أصدر التربويون أنواعاً مختلفة من الليبليوغرافيات، فمنها الليبليوغرافيات العامة ومنها الخاصة بقطر أو بمصر أو بشخصية معينة؛ وبعضها يكتب في ذكر المراجع والمصادر وأما كن وسن طلبها وعدد صفحاتها؛ بينما للبعض الآخر يعطى مذكرات وصفية موجزة عن تلك المراجع والأصول المطبوعة^(١). إن هذا لا يكفي، لأن كتب المراجع لا تكون وافية في كل الأحوال، وهي في الغالب لا تذكر شيئاً عن المقالات التي تنشر في المجلات التاريخية وهي كثيرة ومتنوعة؛ فمن الضروري إذاً مراجعة فهرس هذه المجلات للإلمام بما كتب فيها عن الموضوع المعين. وكذلك يلزم للباحث أن يراجع فهرس دور الكتب المطبوعة وغير المطبوعة. ويجمع الباحث من كل هذه للتوحي

(١) بعض أمثلة من كتب الليبليوغرافيا:

International Bibliography of Historical Sciences — ١
Edited by the international committee of Historical
Sciences, Washington

ويصدر هذا المجلد مرة في السنة ابتداء من ١٩٢٦ ويشترك في وضعه طائفة من العلماء والباحثين، وله لجان فرعية في أقطار أوروبا وأمريكا وهو ينشر قوائم مختارة بالمراجع والأصول التاريخية التي صدرت في عام مكتفياً بذكر مكان وتاريخ الطبع مع عدد صفحات الكتاب. والمؤلفات التي يوردها تشمل جميع نواحي التاريخ؛ فتتناول طرق البحث التاريخي والعلوم المساعدة ودور الأرشيف والمؤلفات العامة من التاريخ الدستوري والاقتصادي ومن تاريخ الحضارة وعصر ما قبل التاريخ وشعوب العرق القديم وتاريخ اليونان والرومان وتاريخ الكنيسة القديم وتاريخ يزنة وتاريخ العصور الوسطى في الغرب ونواح مختلفة من التاريخ الحديث مثل التاريخ الديني والثقافي والاجتماعي وتاريخ العلاقات السياسية وتواريخ آسيا وأفريقيا وأمريكا...

Bibliographie Critique des Principaux Travaux pa- — ٢
rus sur l'Histoire de 1600 à 1914 en 1932 et 1933.
Paris, 1935

نشرت هذا المجلد جمعية التاريخ الحديث في باريس. وهو يعطي قوائم من نواح من التاريخ العام والخاص مع وصف موجز لما تناوله من الموضوعات ٣ — من كتب الليبليوغرافيات عن قطر معين نجد من سوريا مثلاً: Röhricht, R.: Bibliotheca Geographica Palaestinae. Berlin, 1890
Masson, P.: Bibliographie Française de la Syrie. Marseille, 1919
ونجد من مصر:

Ibr. Hilmy, Prince: The Literature of Egypt & The Soudan
2 vols. London, 1886—88

Maurier, R.: Bibliographie économique, juridique et sociale
de l'Égypte moderne (1798—1916) Le Caire, 1918

ونجد من تاريخ كمال أتاتورك مثلاً:

Melzig, H.: Atatürk Bibliyografyası, Ankara, 1941

التاريخية ؛ وإذا كانت الحوادث التي قصدوا أن يكتبوها عنها قريبة العهد من العصر الذي عاشوا فيه ، فإنهم كانوا يرجعون إلى أقوال بعض الأشخاص الذين شهدوا الحوادث وبوازنون بينها ويستخلصون منها ما يمكن الوصول إليه من الحقائق التاريخية . على أن هذه الطريقة لا تكون سليمة دائماً نظراً لتعرض الروايات للشغوة للتشهير والتعديل ، والأفكار والآراء والأقوال الشغوة إذا ما دونت أصبحت مسجلة ووقف تغييرها إلى الحد الذي وصلت إليه . فالوثائق ضرورية جداً للعهد القريب من المؤرخ فضلاً عن العهد البعيد عن الزمن الذي عاش فيه . والوثائق في أغلب الأحيان تنتقل بالتدريج من حوزة الأشخاص إلى الأماكن العامة وتحفظ

في دور الأرشيف ودور الكتب وفي المتاحف والكنائس والكثير من الوثائق المحفوظة في الأماكن العامة قد وضعت عنها كتالوجات وفهارس مختلفة ؛ إلا أنها في أحوال كثيرة أيضاً لا تزال غير وافية ، وأغلبها يكتفي بوضع أرقام مجلدات الوثائق مع بيان للشهور والسنوات التي تنقلها ، بدون أن تصف محتوياتها ، وهي بين قديم وحديث ومخطوط ومطبوع . كما أنه توجد وثائق في مصر وفي الخارج لم تنظم ولم توضع عنها الفهارس الأولية بعد ، وهذه بالنسبة للباحثين تعتبر في حكم المجهولة ، ولا يمكن الاستفادة منها قبل تقسيمها وترتيبها ترتيباً أولياً على الأقل ، وهذا كله يبين صعوبة البحث عن الوثائق . إلا أن التقدم مستمر في هذا الباب . ولقد وضعت كتالوجات وصفية لبعض نواح من الوثائق في دور الأرشيف بالقرب ، واهتمت الحكومات الغربية بإرسال بشرات خاصة إلى الخارج لكي تبحث في دور الأرشيف الأجنبية عن الوثائق التي تهتم تاريخ بلادها وعند ما تفتح أرشيف اللغات كان للباحثين أنشأت كثير من الدول معاهد خاصة في روما لكي يشتغل أعضاؤها بجمع ونسخ ووضع فهارس عن الوثائق التي تهتمها في اللغتيكان ، فهكذا فعلت إنجلترا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وبلجيكا والدانمرك . . .

وكيف يمكن للباحث المبتدئ أن يشق طريقه في هذا البحر السعج ؟ لا ريب في أن طريق البحث وعمر شاق ؛ ولا بد من الصبر والجلد ، ويستطيع الباحث أن يتصفح فهارس وكتالوجات الوثائق التي يظن أنها تحوى شيئاً يهنيه ، وبعض هذه الفهارس

أسماء المراجع والأصول التي تعنيه ؛ ويحسن أن يستعين بعمل فهرس أبجدي على جنادات من الكرتون ويضع عليها ملاحظاته ؛ وإذا اقتضى الأمر أن يكتب ملاحظات مطولة فليدونها على أوراق خاصة . ثم يبدأ في قراءة الكتب التي يصل إليها ويأخذ منها مذكرات باللغة الأصلية في الواضع الهامة على الأقل ، مع وضع أرقام الصفحات ؛ ويرجى قراءة الباقي لحين الوصول إليه بتصويره بالفوتوستات أو بالسفر إلى مكان وجوده

ثم تأتي الأصول التاريخية التي لا توجد في أغلب الأحوال كتب يبلوغرافية تدل عليها . ومن هذا النوع نجد الوثائق والرسوم والصور وخلفات الإنسان . . . والوثائق عبارة عن اللقائين والأوامر والنصح والأحكام والفتاوى والمقود والمراسلات والمعاملات والمذكرات والتقارير . وهي تحفظ في الأصل عند الملوك والأمراء وفي المحاكم والأديرة أو عند الأشخاص الماديين . وليس من الضروري وجود وثائق وافية عن كل حوادث التاريخ ؛ فالكثير منها تنطس آثاره وتزول دلالاته لأنها تتعرض في ظروف مختلفة لتلف والضياع مثل ظروف الثورات أو الحرائق أو الرغبة في التخلص منها وإتلافها عمداً عند ما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية ، أو من يهمل منع تداول معلوماتها بين الناس . وبذلك يضيع الكثير منها بالنسبة للتاريخ ؛ وكان الأفكار والحوادث التي كانت تحملها في طياتها وثناياها لم تكن في الوجود . وعلى ذلك فإن المؤرخ كثيراً ما يجد فجوات في التاريخ لا يستطيع أن يملأها . وسبق حلقات كثيرة من التاريخ مجهولة إلى الأبد ؛ وليس هناك ما يمكن أن يعض من ضياع هذه الوثائق ؛ وحيث لا توجد وثائق لا يوجد تاريخ . وينطبق ذلك على كل آثار الإنسان

وعملية البحث والكشف عن الوثائق Heuristic هي أهم عملية أساسية لكتابة التاريخ . وكشف كية من الوثائق الهامة عن الموضوع اللين هو الذي يحدد إمكان الاستمرار في بحثه أو التمدول عنه إلى غيره . والباحث الذي يكتب التاريخ وقد فاته الوصول إلى مجموعة من الوثائق الأساسية لا يكون لبحثه قيمة علمية مهما كانت كفاءته وقدرته على العمل . والباحثون الأولون في التاريخ قد لاقوا صعوبات جمة في سبيل الوصول إلى الوثائق

وتنتفع أمامه سبل لم يكن يعرفها من قبل ، وبذلك يمكنه الوصول إلى مجموعة من المخطوطات الأساسية التي لم تدرس من قبل

والباحث في أرشيف الحكومة للتاريخ في فلورنسا^(١) عن تاريخ المصادمات البحرية بين الأسطول العثماني وبين السفن للتسكانية في القرن السابع عشر مثلاً ، يجد في لفهارس والكتالوجات المطبوعة والمخطوطة بدار الأرشيف بعض ما يفيد في فحص مجلدات خاصة ؛ ولكن هذا لا يكفي ، بل عليه أن يدرس عشرات من المجلدات في سنوات ممتدة وفي نواح مختلفة ؛ فيفحص مثلاً المجلدات التي تحوى مراسلات ممثلي فلورنسا في الدولة العثمانية ، ومذكرات التجار للفلورنسيين ، وتقارير رجال سان ستيافانو الواردة إلى حكومة فلورنسا ، والتي تحوى أخباراً عن حوادث ذلك الاصطدام . وكذلك يفحص المجلدات التي تضم صور المراسلات الصادرة من حكومة فلورنسا إلى ممثليها في الشرق الأدنى ، وإلى التجار للفلورنسيين ، وإلى رؤساء وقواد نظام سان ستيافانو^(٢) . وللغرض نفسه ينبغي أن يفحص أيضاً عشرات من المجلدات عن المراسلات الواردة من صقلية والبندقية وجنوا مثلاً إلى حكومة فلورنسا ، والتي تتضمن أخباراً عن هذه المصادمات ؛ ثم المجلدات التي تحوى صور المراسلات الصادرة من فلورنسا إلى كل تلك الجهات في هذا الخصوص ؛ وينتج عن ذلك الجهود جمع مادة أصلية مهمة لم تكن معروفة من قبل عن موضوع البحث

ولا ينبغي على الباحث أن يقتصر في جمع وثائق البحث الذي يدرسه على أرشيف واحد فقط ؛ فن الضروري للبحث عن وثائق أخرى — إن وجدت — في أمكنة متعددة ، ونتناول نفس الموضوع ، فيتجه الباحث إلى أرشيف الحكومة للتاريخ في فيينا^(٣) ، لأنه يرى أن علاقات السلم والحرب كانت قوية دائماً بين الدولة العثمانية وإمبراطورية النمسا ، وأنه لا بد من أن أخبار

مطبوع وأغلبها مخطوط . ومن حسن حظ للباحث أن تكون بعض الوثائق اللازمة له قد حصرت ونظمت ووضعت عنها لفهارس . ولكن سبق أمامه دائماً مناطق مجهولة لا بد من الإقدام على كشفها بنفسه . والباحث عن الوثائق يشبه المنقب عن الآثار الذي يظل سنوات عديدة يبحث في مناطق مختلفة حتى يثر في النهاية على ما يرضيه ويرضى العلم . ولتأخذ بعض الأمثلة العملية عن جمع الوثائق والأصول التاريخية . فالباحث في دار المحفوظات المصرية بالقاهرة عن تاريخ محمد علي قائد الجند الألباني ، بعد رحيل رجال الحملة الفرنسية عن مصر وقبيل ولايته حكم مصر ، سيجد مادة قد وضعت عنها بعض المجلدات الأولية فيستعين بها في فحص بعض دفاتر مراتب المسافر الألبانيين ابتداء من ١٢١٧ هـ ، وسيجدها مكتوبة بخط القيمة ؛ فلا بد من الاستعانة على قراءتها بمن يعرف ذلك الخط ، حتى يتمكن الباحث قراءته بها . وصيغته للباحث في هذه الدفاتر على اسم « محمد علي أغا سرچشمه » عساكر أرناؤود^(٤) . وسيعلم بعض أشياء عن مراتبه وعن تكاليف عساكره . ثم يفحص أيضاً دفاتر « كشيد » ديوان مصر^(٥) ؛ ويجد أنها تحتوي على صور فرمانات سلطانية وأوامر باشوية بعضها يخص محمد علي أغا . ثم يبحث بعض الأوراق للتركية التي لم يتم وضع سجلات لها ، وهي عبارة عن بعض أوامر باشوية أو تذكر ديوانية خاصة بمراتب جند محمد علي^(٦)

وقد يسافر الباحث في ناحية من تاريخ الشام إلى سوريا لمقابلة بعض المارفين بتاريخ البلاد وبدور للكتب بها كالكثور أسد رستم فيجده قد انتقل إلى المصيف ، فيتيهه إلى ظهور الشور ويتحدث إليه طويلاً ويأخذ منه ما يريد . وقد يحاول الاتصال بالأستاذ إسكندر الملو فسينقل إليه في رحلة ويستفيد بخبرته ومعلوماته . ثم يقصد دمشق فيجد الأستاذ كرد علي قد غادرها إلى شمالي سوريا ، وفي انتظاره يجتمع بالأستاذ عبد القادر المغربي والأستاذ حسني الكسبي فيتحدث إليهما

Archivio di Stato di Firenze (١)

(٢) أنشأ كوزيمو الأول جراتوق تسكانا (١٥٣٧ — ١٥٧٤)

نظام سان ستيافانو البحري لصداع عن سواحل تسكانا ولهاجمة السفن

العثمانية في البحر الأبيض المتوسط

Habs-Hof-Und Staatsarchiv, Wien (٣)

(١) أي قائد الجند الألباني

(٢) أي دفاتر قيد ديوان مصر

(٣) علم هذه التناثر عند زميلي الأستاذ محمد عبد توفيق الوثائق

الترجم بدار المحفوظات المصرية بالقاهرة

والرسوم والصور وثائق مهمة لأنها تحفظ لنا أبداً آثاراً وأشكالاً ومناظر وأزياء مختلفة قد تئيرت معالمها أو زالت من الوجود ، ولا تستطيع أن تعبر عنها بوضوح الكتابة الوصفية . وتزداد أهمية التصوير بمد تقدم استعمال الفوتوغرافيا في الوقت الحاضر ، فهي تسجل مشاهد عديدة للإنسان ولآثار الحضارة والعمران

ومن الأصول المهمة أيضاً نجد آثار الإنسان وخلفاته وتقاليد ، كما عرفنا ذلك في مقال سابق^(١) . وأعمال الحفر والتنقيب تكشف عن خلفات العصور القديمة ؛ والبحث في بعض الأماكن يؤدي إلى العثور على آثار الإنسان في العصور الحديثة . ويجب على الباحث أن يشاهد ويدرس بنفسه آثار العصر الذي يكتب عنه . وينبغي أن يزور المباني القاعة التي كان رجال العصر يعيشون فيها ، والجدران التي كانوا يروحون عن خواطرم في أرجائها ، وأن يصرف طرق المعيشة والأزياء وأدوات الحرب وآلات الموسيقى . . . وفي الغالب تحول المباني إلى متاحف وتجمع فيها بعض آثار الإنسان . ولا ريب فانه من الضروري للمؤرخ أن يمشى فترة خلال هذه التذكريات التي نادت من الماضي إلى الحاضر ، وأن تشيع في نفسه هذه الرؤى وتلك الخلفات التي أحاطت رجال العصر الذي يدرسه

مبس عثمان

(بلى)

استدراك : في العدد ٤٢٦ من الرسالة من ١٠٨٦ قد سقط عنوان المقالة ٣ وهو « اختيار موضوع البحث التاريخي » فزمت التوبة

(١) راجع مجلة الرسالة عدد ٤٢٣ من ١٠٠٢

إعلان وتحذير

تمنن الست فاطمة عبد العزيز نور من ناحية كفر دمية القديم مركز طلخا غربية بأنه إذا ظهرت لدى أي شخص أوراق مبسوطة بختمها الذي كان بطرف أخيها خالد افندي عبد العزيز نور من الطويلة تعتبر ضرورية ويماقب حاملها وقد أخذت من أخيها المذكور إقراراً بذلك وتحملت منه الختم ، وكسرت وجددت بدلاً منه من هذا التاريخ .

الاستخدام البحري بين السفن العثمانية والسفن التوسكانية قد وصلت إلى مثلى التماس في القسطنطينية ، وأنهم قد أرسلوها بدورهم إلى حكومة فيينا . ويكتب الباحث إلى مدير أرشيف فيينا فيرسل إليه المعلومات التي يعرفها ؛ وملخصها أن المادة الموجودة من ذلك الموضوع قليلة جداً وعديمة الأهمية . إنما ذلك لا يعني أن هذه المعلومات صحيحة ، ولا يقتنع الباحث برمد مدير الأرشيف . ويسافر بنفسه إلى فيينا ، ويجد أن الكتالوجات الموجودة لا تنفيذ شيئاً ؛ ولكن ذلك لا يمنعه من البحث ؛ فيعمل بعض الزمن وينتهي به الأمر إلى كشف طائفة متممة من الوثائق الألمانية والإيطالية عن الموضوع الذي يدرسه ، فيحملها إلى مدير الأرشيف ويرجوه أن يدرجها في كتالوجاته . وتلاحظ أن الباحث ينسخ بنفسه جزءاً من الوثائق التي يتر عليها ، ويمكنه اختصاراً للوقت أن يشرك منه بعض الإخصائيين في نسخ جزء من الوثائق ، كما يمكنه أن يصور بالفوتوستات جزءاً آخر على حسب الحاجة . ولا يكتفي الباحث بكل ذلك ، بل يعضى في البحث والكشف عن الوثائق في أماكن أخرى مثل باريس ومدريد ولندن . . . ويدرس الباحث للمادة التي جمعها ويقارن بين مجموعات الوثائق التي كشفها ويوازن بين معلوماتها وبين ما وصل إليه من المراجع والأصول المطبوعة ، ويستخلص الحقائق التاريخية التي يمكنها الوصول إليها ، كما سنرى ذلك في المقالات التالية . وهذه كلها أمثلة عملية تعطى فكرة عامة عن كيفية البحث عن الوثائق والأصول التي تظل مجهولة للسلم حتى يكشف عنها . وإلى آخر لحظة يظل الباحث يوقع كشف أصول جديدة توضح أو تنير ما وصل إليه من الحقائق مما قد يضطره إلى تعديل معلوماته إذا لم يكن قد طبع بحثه بمد ، أو إلى تغييره إذا ما أعاد طبعه^(٢)

ويقتل بالوثائق الرسوم والصور وهي مهمة من الناحية التاريخية . والأثر الذي يحدده الشكل يسجله الفنان على الورق أو على الرمر ، والوصف الكتابي مفيد في بيان عادات وخلق نابايون مثلاً ؛ ولكن رسم الفنان إياه أو صنع تمثال له يعطينا فكرة مجمعة تضاف إلى ما نعرفه من أوصافه بطريق الكتابة .

(١) الباحث لا يمكنه الرجوع إلى وثائق أرشيف القسطنطينية مثلاً لعدم ترتيبها وتنظيمها بمد مما لا يسمح ذلك بدراستها الآن

٣ - كيلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

—•••—

٨ - ٨٠ : ٥ - « فليت الذئب وابن آوى والثراب أياماً لا يصبين شيئاً مما كن يمشن به من فضول الأسد ، وأصابهم جوع وهزال شديد . فمرف الأسد ذلك منهم فقال : جهدتن واحتجتن إلى ما تأكلن . قتلن ليس هنا أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى ، ولستنا نجد الملك بمض ما يصلحه . قال الأسد : ما أشك في مودتكم ومحبتكم »

وهذه صورة عجيبة من التعبير لم أدر لها سراً ، وكان أولى بابن المقفع أن يجعل الضائر المائدة إلى هذه الجماعة من الحيوان على طراز واحد ، كما هو الأصل في إرجاع الضائر . أما أن يجعلها للثوئيات ثم لجماعة الماقلين ثم للثوئيات أخرى ثم لجماعة الماقلين رابعة ، فهذا يجب لم نره لكتاب غيره .

وقد ينزل العرب غير الماقل منزلة الماقل ، وابن المقفع جعل هذه الجماعة مرتين من غير الماقلين ومرتين من الماقلين فأسرف فيها أجزاء القوم إسرافاً

وألفيته بماود هذا المذهب وبراجمه . ففي ٨٦ من ٧ « فلتأت سائر الطير فلندكر ذلك لهم . فأجابوه إلى ذلك وأعلمهم ما أصابه وحل به » الضميران في « لهم » و « أعلمهم » مائدان إلى سائر الطير . وفي ٩١ من ٤ « ودنا منهم ليبصرهم ، فتناوله بعضهم وضرب به الأرض » الضائر راجعة إلى : « جماعة من القردة » في الصفحة السابقة . وفي ١٥٢ - ١٥٣ « فبينما هم في ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم : انتظرون حتى يأتينا هذا الغراب » الضائر مرجعها « جماعة من الطير » . وغير ذلك كثير

٩ - ٧٤ : ٥ « فلما فرغ دمنة من تضريب الأسد على الثور » التضريب هنا : التعريض ، وفي اللسان (١) : « والتضريب تعريض للشجاع في الحرب . يقال ضربه وحرضه » والتضريب أيضاً : الإغراء ، وفي اللسان (٢) : « والتضريب بين القوم :

(١) لسان العرب (٢ : ٣٩)

(٢) لسان العرب (٢ : ٣٦)

الإغراء » وفي نسخة بولاق من ٤٣ « من تحميل الأسد على الثور » . وهي الرواية الجيدة ؛ لأنها لغة ابن المقفع ، ولازمة من لوازمه الكتابية . فقد جاء في من ١٠١ من ٧ « ولكن قتل لتحميل الأشرار » وفي من ١١ من الصفحة عينها « من تحميله إليك عليه » وفي من ٢٤٩ من ٨ : « تحميل الملك على » وفي من ١٤ من الصفحة نفسها « ليحملوا عليه الأسد » فهذا هذا

وقد أراد ابن المقفع بكلمة « التحميل » الإغراء . ومن العجب أن ابن منظور وصاحب القاموس لم يذكر هذا اللفظ في مادته ، بل ذكر في هذا المعنى « حمله على الأمر بحمله حملاً فأنحمل : أغراء به » (١) ثم انفرد ابن منظور (٢) بقوله « وحملت على بني فلان إذا أرشت بينهم » ، والتأريش : التخريش والإغراء ١٠ - ٨٦ : ٤ « فأعينوني وظافروني » وبدلها في نسخة بولاق

من ٤٨ : « فأعنتني » ، و « ظافره » بمعنى أعانه وظاهره لم يذكرها صاحب اللسان والقاموس ، وقاربها ابن منظور بقوله (٣) « وتظافروا القوم عليه وتظاهروا بمعنى واحد » فنستطيع أن نزيد في معجمنا المنتظر هذه الكلمة ، وابن المقفع ثقة ينجح بقوله : وهو دليل أن المعاجم المتداولة لم تستوف على عدم ورود . فذا مرجعه إلى اللينة وفردوها إلا ما نهت على عدم ورود . فذا مرجعه إلى استيثاق الرواة الأولين واستقصائهم

١١ - ٩٥ : ٧ « ليس يستكبر لها أن تحتطف برأتها للقبيلة » ابن المقفع - فيما أشعر - لا يقول هذه الكلمة بل يقول « يستنكر » وما يجدر ذكره أن استكبر الشيء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده ، قول منسوب إلى الإمام ابن جني (٤) ، ولم يقله عامة النحويين . واتفقوا أن استكبر بمعنى تكبر ؛ وفي كتاب الله : « له لا يحب المستكبرين » (٥) ، « يصدون وهم مستكبرون » (٦) وقد رجعت إلى نسخة شيخو (من ٩٩) ، فوجدت : « ما أرضا (كذا) بأكل جردها مئة من من حديد بمستنكر ليزاتها أن تحتطف غلاما »

١٢ - ١٠٧ : ٦ : « إذا جئني بالليل من غير نداء ولا رى ولا شيء يرتاب به » . فذا ذلك الرى ١٢

(١) القاموس ولسان العرب (١٣ : ١٨٥)

(٢) في لسان العرب (١٣ : ١٩٢)

(٣) في لسان العرب (٦ : ١٩٢ من ٥ - ٦)

(٤) لسان العرب (٦ : ٤٣٩ من ٢٢)

(٥) العمل ٢٣ (٦) اللانقون

للسواب : (ولا رمز) - أى إشارة وعلامة ؛ وقد جاء بدلها في نسخة يولاتق (٥٣) : (ولا إعاء) ، وهو والرمز والإشارة بمعنى

١٣ - ١٤٥ : ١٣ ، ١٦ و ص ١١٦ : ١ و ص ١١٧ : ١٦ ، ١ و ص ١١٨ : ٢ ، ٦ : (رأس الخنازير) و (سيد الخنازير) . عندى أنها : (رأس الخبازين) و (سيد الخبازين) يؤيد ذلك ما جاء بدلها في نسخة شيخو السريانية : (فتكلم صاحب المائدة) ، وما هو عند ابن الهبارية (١١٥) :

فأخذ الخباز كف دمنه وقال : لله العظيم الله وكذلك ص ١١٨ :

فأطرق الخباز لما سمى ذلك من مقاله وخضما وكما يفهم من قول ابن المقفع عنه ١١٧ : ١٢ : (ثم أنت تجترى أن تقوم بين يدي الملك وتلى طعامه)

١٤ - ١١٦ : ١١ : (ولا مسمى وإن أذنبه بضائر ذنبه) تطبيع ، صوابه : (وإن أذنب)

١٥ - ١٢٠ : ٩ : (فأقر بذنبك وبؤر بإساءتك) : بإيتمه فهو يبوؤ به بؤرا : إذا أقربه ؛ وفي الكتاب : (إنى أريد أن أبوء بإيتمى وإيتمك) ؛ وفي الحديث : (أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي) - أى أقر ؛ وقال ليبيد :

أنكرت باطلها وبؤت بحقها عندى ولم تغفر على كراؤها وأسل للبوء الرجوع ، فمن ياء فكأنه رجع إلى الإقرار بعد الإنكار والسكوت^(١)

وبهذا أيضا يفسر قول ابن المقفع في ص ١٥ : (وأن أبوء بما لم أجين)

١٦ - ١٢١ : ١١ ، ١٢ (تحفظ للفرخان ذلك بلسان للبلخية) للبلخية : أهل بلخ ، بفتح الباء : مدينة مشهورة بخراسان^(٢) ولأنه فيه للدلالة على الجمع . وهى عند التحقيق علامة للتأنيث بتقدير الجماعة أو للطائفة كأنك تقول : الجماعة للبلخية ، فلما حذف الموصوف وأقت صفته مقامه ألحقت بها تاء التأنيث المنبهة

على الجمع أيضا^(١) . ومثلها في ذلك : الإياضية ، والإسماعيلية ، والأشعرية ، والباطنية ، والجبائية . ونحو ذلك كثير من أسماء للفرق الدينية والسياسية

١٧ - ١٢٧ : ١٤ (وأخت على الشبكة حتى ألحجت فيها وصوبحاني . لج فلان في الأمر تعادى عليه وأبى أن ينصرف . فهو فعل اختياري لا دخل للقصر فيه . والمعنى لا يتجه بهذا . وإنما هو (ألحجت) بالحاء المكسورة المهملة بعدها جيم . لحج - السيف وغيره بالكسر يلحج لحجا : أى نشب في التعمد فلم يخرج . وفي حديث علي يوم بدر « فوق سيفه فلحج » أى نشب فيه . ويقال لحج في الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب^(٢) . ومن البين أن المراد نشوب الطير في الشبكة ، مما أعماه من القدر وأعشى أبصاره

١٨ - ١٢٨ : ١ (ويستنزل للطير من الهواء ، إذا قضى ذلك عليهم) أجرى (الطير) مجرى الماقل فجعل لها ضميره . وهو معروف عند العرب . وفي كتاب الله : « لا للشمس يئبني لها أن تدرك للقمرك ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » وفيه : « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ، « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ، وقال عبدة بن الطبيب :

إذا شرف عليك يدعو بعض أسرته إلى الصبح وهم قوم ممازيل جعل لديك أسرة ومماهم قوما

١٩ - ١٣٠ : ١ (منها مداوة من يجترى على ذلك كمدواة الأسد والفقيل) . وفي نسخة يولاتق ٦٢ (منها ما هو متكافئ كمدواة للفقيل والأسد) وعند ابن الهبارية ١٢٩ :

« وهو للتجازى لا سواء إنما » الاجتزاء : طلب الجزاء . قال : يجزون بالقرض إذا ما يجترى^(٣)

وفي ذلك معنى للتكافؤ . وللتجازى - كما في ترجمة ابن الهبارية

(١) انظر الرضى (٢ : ١٥٢) نجد هذا التحقيق النادر

(٢) نهاية ابن الأثير ، واللسان

(٣) لسان العرب (١٨ : ١٥٦)

(١) نهاية ابن الأثير ولسان العرب : (١ : ٢٨) ؛ ومشارك

الأنوار : (١ : ٨٩)

(٢) معجم البلدان

[من أجله] (أي من أجل البلاء . وذلك كما في ص ٧٧ من طبعة بولاق

٢٦-١٧٣ : ١ (بل برأيك وعقلك كان هذا ؟ فإن الرجل الواحد أبلغ في إهلاك الممد من كثير للممد من ذوى لباس) . وفي هذه السيرة قصص كسابقتها . وتمازها كما في نسخة بولاق ٧٨ : (؛ فإن الرجل الواحد [للعائل الحازم]) ... الخ . وعند ابن الهبارية ص ١٧٤ :

فالرجل اللبيب في الأعداء أبلغ من ألف ذوى فقاء^(١) و (اللبيب) هو العاقل ذو اللب

٢٧ - ١٩٠ : ١٢ قول البرهمن الملك حين سألهم تمييز الرؤيا : « فلعلنا - إن استطعنا - أن ندفع ما نتخوف منه » . الوجه (تتخوف) بالخطاب ؛ إذ ليس من شأنهم أن يحكموا في تمييز الرؤيا بهذا الحكم قبل أن يجتمعوا للتشاور والتأمر . وم قد استعملوا الملك (سقة أيام) ليتمكنوا من ذلك . والملك هو الذي كان متخوفاً ، لأنه (رأى ثمانية أحلام يستيقظ عند كل منها)

٢٨ - ١٩١ : ٦ « لنجعل دماء في أترن ثم نعدك فيه » . كلمة (الأترن) مصرية عن الفارسية ، بفتح الهمزة بعدها باء موحدة ساكنة ثم زاي مفتوحة . وهو الحوض من نحاس يستنقع فيه الرجل ؛ ويصرف في ألفارطنا الدخيلة باسم (البانيو) ، وبالفرنسية : Baignoire ، وبالإنجليزية : Bathing-tub . و (أترن) أصله في الفارسية : (آترن) بعد الهمزة ؛ وكتب أحياناً (آب زن) ؛ وفُسر في معجم استنجاس^(٢) بأنها حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طيب يجلس فيه المريض أو يتمدد

وقد أهل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث ، والجواليقي ، وابن دريد ، والزغفرى^(٣) ، مع أنه مستعمل قديماً

(١) الفناء ، بالفتح : الشباب والقوة . وفي الأصل : (ماء) بالعين المهملة والنون

(٢) معجم Steingass الفارسي الإنجليزي ص ٨

(٣) نس صاحب الشأن على إفعال الليث . وأما الجواليقي فلم يذكره في المرب ، وكذا ابن دريد في الجهرة ، والزغفرى في الفائق والأساس

أصل معناه التفاضل^(١) ، والمراد به المقاصة ، فهو كذلك في معنى التكافؤ

٢٠-١٣٣ : ١٥ (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى الأجايب) ، والفعل (جال) لا يتعدى بنفسه . والوجه (جال [في] الآفاق) . وسمع جوال الأرض : جال فيها ، وجول في البلاد أي طوف^(٢) . فهذا المصنف ورد بالوجهين . وفي القاموس أن جال الشيء : اختاره . وهذا معنى لا يراد هنا

٢١ - ١٣٩ : ٨ (واقبلت ظهر الهطن ، وانجمرت حتى دخلت حجري) فإذا جره حتى انجر ١٤ [ناهي] (وانحدرت) أي نزلت في سرعة إلى الجحر

٢٢ - ١٥٠ : ٧ (إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته ، وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن موائبته) . متكشفاً أي بدياً ظاهراً ، وهي لا تسار للكلام . والصواب (مكشياً) أي دانياً . أكتبك الصيد والزى وأكتب لك : دنا منك . وعلى هذا الوجه الذي أثبت وردت الكلمة في نسخة بولاق ٦٩ . ويؤيد هذا التصحيح ترجمة ابن الهبارية ١٤٨ :

لأنه إن كان منه نازحاً أعاد مثل فصله مشايخاً أو كان منه دانياً أو حاضراً واثبه مهادراً مساوياً فكلمة (دانياً) في النظم تقابل كلمة (مكتباً) التي ذكرت ٢٣ - ١٦٥ : ١٦ (فإن للفراب ذو أدب ومكر ومكيمة) . لوجه لورود كلمة (أدب) بالمدال في هذا المرض . والصواب (أرب) بالراء ؛ ليصح اقترانها بأختها : للكر والمكيمة . وللقام مقام ذم وهجين . والإرب بالكسر ، أو بالتحريك : الدهاء والخبت والفكر . وفي نسخة شيخو ١٥٨ (فإن للفراب ذا أرب ومكاند^(٣))

٢٤ - ١٦٦ : ١٥ (فإن للشر بدور حيناً دارت) . هي (حيناً دُرَّت) .

٢٥ - ١٧١ : ٤ (فابقيت بيلاء حرمت على الضفادع) والجملة بهذا الوضع مبتورة ناقصة . وتمازها (حرمت على الضفادع

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٧)

(٢) لسان العرب (١٣ : ١٣٩)

(٣) كذا في أصل نسخة شيخو . والصواب ذو أرب ومكاند

معركة الأطلنطي

للأديب محمد شاهين الجوهري

« لا تكاد خطبة من خطب تشرشل تخلو من ذكر معركة الأطلنطي » ، فعلى صفحات هذا المحيط تقوم معركة من أشد المارك وأعنفها ، وهي المعركة التي ستكتب السطر الأخير من سطور الحرب . وفي هذه المعركة تصاون السلاح الجوي الألماني مع سلاح القواصات ، تنضرب الطائرات الألمانية للوافء وللذن الإنجليزية لتنهك قوى بريطانيا في الداخل ، وتفتك القواصات بالقوافل التجارية في عرض المحيط . وإذا كان يجري في هذا المحيط صريان الأمبراطورية البريطانية الحيوية ، فلا عجب إذا رأينا ألمانيا تبذل قصارى جهدها لتقطع هذا الصريان لتتغ من بريطانيا ما يأتيها من معونة ومدد ، بينما تعمل بريطانيا على أن تبقى على هذا الصريان إذ في بقائه بقاؤها .

المصانع الأمريكية تعمل فتنتج المؤن والمتاد الحربي ؛ واتفاقية الإطارة والتأجير تبيح إصدار هذه المؤن وهذا للمتاد إلى بريطانيا . وفي الجزر البريطانية يربط اللدافئون عن الديمقراطية ، ويفصل المحيط الأطلنطي بين هذا اللدد الأمريكي

وجاء في شعر أبي دؤاد اليزدي ، يصف فرساً وصفه بانتفاخ جنبه^(١) :

أجوف الجوف فهو منه هواء مثل ما جاف أوزنًا نجار وأبو دؤاد جاهل^(٢) . ويفهم من هذا الشعر أنه يصنع أحيانًا من الخشب ، لما جبل صانعه للتجار . وكان بعض العرب كانوا يجتزون بالخشب عن النحاس ، قال ابن بري : « الأذن شيء يعمل للتجار مثل الثابت » ، وأنشد بيت أبي دؤاد . وروى البخاري أن أنس بن مالك قال : « إن لي أوزنًا أتقضم فيه وأنا صائم^(٣) » .

وقد فسر (الأذن) في هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالخوض ، أو شيء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والمطش^(٤) .

عبد السلام محمد هارون

(له بقية)

(١) لسان العرب (١٦ : ١٩٦)

(٢) الأغاني (١٥ : ٩١ ساسي)

(٣) صحيح البخاري (٣٠٠٣ س ٢٠ طبع ١٣١٤)

(٤) عمدة القاري (١١ : ١٣) ومشارك الأتوار وشفاء الغليل ١٤

وبين اللدافئين من هذه الجزر . وفي هذا المحيط ترتع القواصات الألمانية متعاونة مع الطائرات في معركة لا تعرف هودة ولا رحمة ضد السفن الإنجليزية . ويرى هنر من وراء هذه إلى غرضين : أولها إضعاف إنجلترا بتدمير موارد ثروتها الداخلية وأحواض سفنها وموانئها ، وشل حركة إنتاج السفن والقنائر الحربية . وثانيهما منع اللدد الذي يصل إلى بريطانيا من الخارج بإغراق سفنها في المحيط ، وغزلها عن أميركا . وعندئذ يسهل عليه مهاجمة بريطانيا

تبلغ هذه المعركة شدتها في فصل الربيع . ففي هذا الفصل تقشع السحب التي كانت تحمي على آفاق المحيط فتجعل عمل القواصات والطائرات عسراً ، وتبدأ القواصات الألمانية تجوب المحيط باحثة عن السفن البريطانية ، وتطلق الطائرات الألمانية في الجو لتساعد القواصات في المهمة الملقاة على عاتقها .

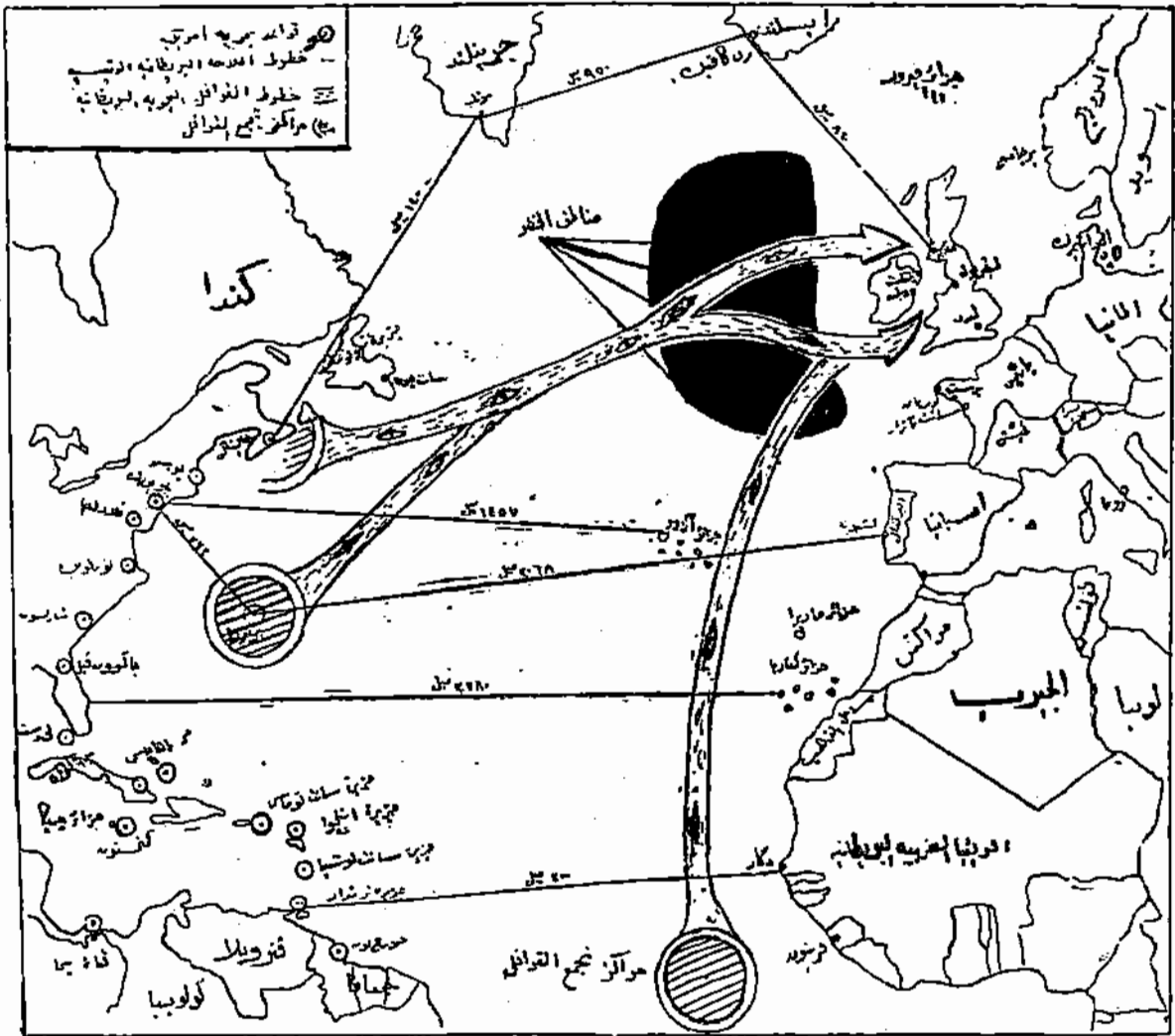
وقد كان التحمسون للطيران في ألمانيا يمدون آمالاً كباراً على السلاح الجوي ضد الملاحه البريطانية ، فكانوا يعتقدون أن قاذفة القنابل قادرة على أن ترسل أية سفينة حربية إلى أعماق المحيط ، ولكن التجارب برهنت على أن هذا السلاح لم يحقق ما بنى عليه من آمال ، ولذا أصبح عمل الطائرات الألمانية الرئيسي هو القيام بمهمة استكشاف مواقع السفن وأجباهاها وإبلاغ ذلك باللاسلكي إلى القواصات لتهاجم هذه السفن

وعدد السفن التي يصل إلى بريطانيا سالماً هو الذي يقرر إن كان في مقدورها أن تحافظ على سلامة هذا الخط الحيوي بينها وبين أمريكا ، وأن تضمن دوام وصول الإمدادات إليها . ويقول المسترنوكس : « إن هنر يعمل على ألا تصل المؤن والقنائر إلى بريطانيا ، لأن في وصولها هزيمته . إننا لا نرضى لتتجانتنا أن تترق في الأطلنطي ، وستلحقنا الهزيمة إذا رضينا بذلك . يجب علينا أن نقي بوعدها ونساعد بريطانيا لأنها غات كثيراً في الحرب الكبرى الماضية لما كانت قد لحق أسطولها من الوهن من جراء نشاط العدو . ففي أبريل من سنة ١٩١٧ ، أغرقت القواصات الألمانية من السفن البريطانية ما حوّلته مليون طن تقريباً . وكان الألمان يتوقعون أنهزام بريطانيا في ذلك العام ، ولكن تطبيق نظام القوافل البحرية

وفي حراسة القوافل . وقد فطنت بريطانيا إلى ذلك وعملت من جانبها على إحباط السياسة الألمانية فأجرت بعض القواعد البحرية للولايات المتحدة ، أو بمعنى آخر ألقت مهمة النطاق عن هذه القواعد على عاتق الأسطول الأمريكي ، وذلك لتقليل من الأعباء الملقاة على عاتق الأسطول البريطاني وتوجه قواه لمناهضة العدو وتأمين طرق قوافلها التجارية وضمان وصول الإمدادات إليها

ووصول المدمحات الأمريكية ، وسفن الحراسة ، واختراع الأجهزة المخبرة من القنصات ، قد أضف كثيراً من خطر للقنصات .

ومحاول هتلر الآن جهد طاقته كسر شوكة بريطانيا البحرية وينقل في ذلك أعنف الجهود . فإن دخول إيطاليا الحرب ، وما يجرى به اليابان من قيامها بتناورات دبلوماسية وعسكرية ، إنما هي خطة



عندما بدأت الحرب كانت بريطانيا تملك من السفن ما جملته ١٨ مليون طن ، أضيفت إليها بحوالة قدرها ٨ ١/٢ من الأطنان حصلت عليها إنجلترا من الدانيمرك وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنرويج وهولندا ، ومن هذا المجموع الذي يبلغ ٢٧ مليوناً من الأطنان أغرق الألمان ما جملته خمسة ملايين طن أي ما يماثل ١/٥ ما تملكه بريطانيا تقريباً

يرى من ورائها إلى إرغام إنجلترا على استخدام أسطولها في ميادين بحرية متعددة لتتوزع قواه ، وتقل قدرته ، ويصبح من السهل على هتلر أن يضربه الضربة للقاضية . وأن مجرد وجود الأسطول الإيطالي في البحر المتوسط قد اضطر بريطانيا إلى الاحتفاظ بوحدة عديدة من أسطولها في هذا البحر في وقت تحتاج فيه إلى هذه الوحدات في الأطلنطي لتسمل ضد القنصات ،

من أين لبريطانيا أن تحصل على ما يحد هذا النقص ؟

نتيج بريطانيا من السفن سنوياً ما حولته ١٥٠٠.٠٠٠ طن . ولكي تسهل المهمة للقاء على غاتهما أدخلت بعض تعديلات على بناء السفن ، وذلك بالتخلي عن كل ما ليس له مهمة رئيسية في السفينة . وقد صار يُبنى الآن نوع من السفن يكبر حجم السفن المادية مرتين ونصفاً ، ويمكن بناء أجزاء هذه السفن في مصانع في داخلية البلاد بعيدة عن غارات للطائرات الألمانية على أحواض السفن . ويبلغ حولة ما أمدت به الولايات المتحدة بريطانيا في عام (١٩٤١) ١٠٠٠.٠٠٠ طن . كما تقرر أن تعدها أمريكا بما مقداره ٢٠٠٠.٠٠٠ طن في عام (١٩٤٢) ، وسيبلغ هذا العدد خمسة ملايين طن في عام (١٩٤٣) . وبلغت حولة ما وصل بريطانيا فملاً ١٥٠٠.٠٠٠ طن يضاف إليها خمسون قطعة أعطيت لبريطانيا بموجب قانون الإعارة والتأجير . وسيرسل إليها ١٥٠ قطعة تبلغ حولتها ١٥٠٠.٠٠٠ طن . وهناك مورد آخر لبريطانيا وهو السفن المحجوزة في موانئ الولايات المتحدة ، ويبلغ عددها ٥٨ قطعة حولتها ٥٨٩.٠٠٠ طن تلك هي الموارد التي تجد فيها بريطانيا عوضاً عن بعض ما تفقده . هذا ويبدل المال جهوداً جبارة لبناء أكبر عدد من السفن ، كما يضرب السلاح الجوي موانئ النزول الألمانية ملحقاتاً ما استطاع من الخسارة بهذه الموانئ وأحواض السفن . ولا يألو رجال البحرية جهداً في مكافحة التوابعات والقضاء عليها ، وبذا تعمل بريطانيا على زيادة الانتاج وتقليل الخسارة مما يساعد كثيراً على سد هذا النقص

وفني عن البيان أن لسيطرة النازي على البلاد الساحلية في أوروبا أثرها العظيم في سير معركة الاطلنطي ، فإن التوابعات الألمانية تتخذ من موانئ الترويج شمالاً إلى موانئ فرنسا جنوباً قواعد تكمن فيها . وهذا قد أعطى ألمانيا ميزتين هامتين : أولاً أن ألمانيا باستيلائها على هذه القواعد أمكنها أن تستخدم غواصات صغيرة الحجم تسع من خمسة رجال إلى عشرة ، بدلاً من التوابعات الكبيرة التي تسع من ثلاثين رجلاً إلى أربعين ، وبذلك قلت الخسارة التي كان يتحملها الألمان من إفراق غواصاتهم كما زاد عدد التوابعات التي تعمل في المحيط . ولليزة الثانية أنه باستيلاء ألمانيا على الترويج وفرنسا مكن للتوابعات الألمانية من أن تتفادى الخطر الذي كانت تلاقه في الحرب الماضية

حين كان من المقوم عليها أن غر بحقول الأتنام التي كان ينشرها الإنجليز في مضيق دوغر وبحر الشمال كما أرادت الوصول إلى قواعدهما على الساحل الألماني . فالإنجليز الآن إذا ما حاولوا تضيق الخناق على التوابعات الألمانية يجب عليهم أن يبدروا حقول الأتنام على طول الساحل الأوربي ، وهذا يحد من أصعب الأمور وأشدها على الأسطول البريطاني نظراً لوقوع هذه السواحل تحت رحمة القواعد الجوية الألمانية . كذلك فقدت بريطانيا ميزة كانت لها في الحرب الماضية وهي عدم استخدام الموانئ الإيرلندية القريبة كقواعد للسفن مما يضطر البورتات البحرية أن تقطع للقيام بدورياتها رحلات أشق كثيراً مما كانت عليه في حرب عام ١٩١٤

وإذا كان في استيلاء ألمانيا على هذه السواحل كسب لها وخسران لبريطانيا ، فبريطانيا قد سمعت من جانبها لإيجاد وسائل تفقد على الألمان ما اكتسبوه من ميزات ، فزودت سفنها بأجهزة ترشد إلى مكان التوابعات ، وبقدائف الأعماق التي تنفجر تحت سطح الماء وهي تعتبر من أفكك الأسلحة بالتوابعات . وكذلك وفق الإنجليز إلى نوع جديد من السفن يعرف باسم (الكورتيت) وهو عبارة عن مدمرة صغيرة تجمع إلى بحاطة تركيبها سرعتها وسهولة إدارتها ، وتبلغ تكاليف هذه المدمرة الصغيرة ١/٣ تكاليف بناء المدمرة العادية ؛ فلا يزيد ثمنها على نصف مليون من الجنيهات ، وتحتاج إلى عدد قليل من البحارة لا يزيد على الأربعين ، ويبلغ طولها نصف طول المدمرة ؛ وحولتها أربعمائة طن وسرعتها ٢٥ عقدة بحرية في الساعة . ويمكن بناء عشر مدمرات من هذا النوع بدلاً من مدمرة واحدة كبيرة . وتحمل هذه المدمرة مدفعين من عيار ٤ بوصات وقذيفتين للأعماق . ولما ثبت نجاح هذا النوع من السفن في محاربة التوابعات قامت كندا ببناء ٨٠ قطعة . وتبنى إنجلترا الآن ٣٠٠ قطعة من هذا النوع . هذا وقد زودت كل سفينة تجارية بدافع ضد للطائرات والتوابعات لتكون أقدر على حماية نفسها .

وهكذا تبذل الدولتان قصارى جهودهما وتقذفان بشمرات إنتاجهما في هذا المحيط حيث تدور المركة الكبرى .

محمد شاهين المبرهني
مساعد الصحافة السال
بالجامعة الأمريكية

مدارس البعثة العلمانية الفرنسية

الليسيه الفرقتية المصرية

شارع نوار الأول بمصر الجديدة

(هليوبوليس)

التفانان الفرنسية والمصرية تلقنان

لجميع التلاميذ

اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية

إلزامية في جميع الفصول

١ - مدرسة البنين

تحضر للطلبة مختلف أقسام البكالوريا

الفرنسية والمصرية

٢ - مدرسة البنات

تحضر الطالبات لشهادات البكالوريا

وبها قسم للدراسات العامة وقصود

خاصة إعدادية للغة الفرنسية . وهي

منفصلة انفصلاً تاماً عن مدرسة البنين

٣ - روضة أطفال

كل أنواع الرياضة على أجناس

مصر

سيارات خاصة للمدرسة لتوصيل

الطلبة والطالبات إلى المنازل



الليسيه الفرنسية

بالاسكندرية بالشاطبي

روضة الأطفال - ليسيه البنات :

منفصلة انفصلاً تاماً عن ليسيه البنين :

تحضير لشهادتي البكالوريا الفرنسية

والبكالوريا المصرية . تعليم التدبير المنزلي

ليسيه البنين : تحضير لشهادتي البكالوريا

الفرنسية والبكالوريا المصرية ولديوم التجارة

للعلماء . تعليم اللغتين العربية والإنجليزية في

جميع الفصول . تعليم الألعاب الرياضية

مدرسة الزراعة للعلماء المصرية : في

الليسيه وفي الملحق الزراعي في رأس العودا

الدراسات للعلماء : - علوم ، آداب

حقوق ، وعلوم اقتصادية

دراسات الهندسين : كيميائيين ومساعدى

المهندسين الكهربائيين والميكانيكيين .

الليسيه الفرنسية

رقم ٢ شارع الحرياتي بالقاهرة

١ - مدرسة البنين : تحضر الطلبة

لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية

قسم مصرى

قسم تجارى

٢ - مدرسة البنات : تحضر الطالبات

لشهادات « البريفيه » والبكالوريا الفرنسية

وهي منفصلة انفصلاً تاماً عن مدرسة

البنين

٣ - روضة أطفال

سيارات خاصة لتوصيل الطلبة

والطالبات إلى المنازل

الكلية الفرنسية (للبنات)

رقم ٦ شارع زهني بالظاهر

تحضر الطالبات بمقتضى المناهج

الابتدائية لشهادة (البريفيه)

قسم خاص للدراسات التجارية . اللغات

الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية في

جميع الفصول

الكلية الفرنسية (للبنين)

رقم ٤٥ شارع الظاهر

تحضر الطلبة بمقتضى المناهج

الابتدائية الفرنسية ومناهج البكالوريا

المصرية

تحدد يوم الافتتاح

لجميع معاهد البعثة

العلمانية الفرنسية

٣ أكتوبر

سنة ١٩٤١

٥ - المصريون المحدثون

شماثلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد ولیم لین

للأستاذ عدلى طاهر نور

الطبعة

من المستحيل تقريباً في بلد لا يقيّد فيه مواليد ولا أموات أن يمين عدد السكان بدقة . وقبل تأليف هذا الكتاب بيضع سنوات عمل إحصاء على أساس عدد الليوت في مصر واقتراض ثمانية أشخاص لكل بيت في العاصمة ، وأربعة أشخاص لكل بيت في الريف . وهذا الإحصاء — على ما أعتقد — يقرب جداً من الحقيقة . ولكن الملاحظة الشخصية والبحث يجعلاني أميل إلى الاعتقاد بأن مدناً كالإسكندرية وبولاق ومصر العتيقة تحوى كل منها خمسة أشخاص على الأقل لكل منزل . أما رشيد فنصفها أهل ونصفها الآخر قفر ، ودمياط المزدهرة بالسكان يجب أن نحسب ستة أشخاص لكل منزل فيها وإلا نقص تقديرنا كثيراً عما يظن أنه عدد سكانها . فإذا أضيف شخص أو شخصان إلى كل منزل في المدن المذكورة ، فلا يحدث مع ذلك إلا فرق ضئيل في إحصاء سكان مصر . ومجموعهم طبقاً لتلك الطريقة الحسائية يبلغ أكثر من مليونين ونصف مليون من الأنفس ؛ ولكن هذا العدد قل فيما بعد . وكان من المحتمل أن يكون من هذا العدد قرابة مليون ومائتي نفس من الذكور ، ثلثهم (٤٠٠٠٠٠) يصلحون للخدمة العسكرية

وقد جئنا محمد علي من هذا العدد الأخير مائتي ألف رجل على الأقل لجيوشه النظامية وللخدمة للبحرية . وأقصى خسارة نتجت من إبعاد هؤلاء الرجال عن زوجاتهم ، أو منعهم من الزواج

عشر ستين ، لا بد أن تزيد على ثلاثمائة ألف ؛ ولذلك جعلت مجموع السكان أقل من مليونين . أما عدد أفراد الطبقات المهمة فقد كان كما يلي على وجه التقريب :

مصريون (فلاحون وحضريون) ١٧٥٠.٠٠٠ ر

مصريون مسيحيون (أقباط) ١٥٠.٠٠٠ ر

عثمانيون أو أتراك ١٠.٠٠٠ ر

سوريون ٥.٠٠٠ ر

يونانيون ٥.٠٠٠ ر

أرمن ٢.٠٠٠ ر

يهود ٥.٠٠٠ ر

أما بقية السكان من البدو والنوبيين والعبيد والماليك والفرنج ، فمن المحتمل أن يبلغ عددهم نحو سبعمائة ألفاً . أما عدد كل طائفة على حدة فلا يمكن معرفته على وجه اليقين . وقد كان عرب الصحراء بين الغربية والشرقية لا يعدون في سكان مصر . قلت : إن القاهرة يبلغ عدد سكانها مائتين وأربعين ألف نفس تقريباً عند ما وضع هذا الكتاب ^(١) . ولو كنا قد بنينا حكماً على أهل هذه المدينة من ازدحام شوارعها المهمة وأسواقها لخدمنا كثيراً . ففي كثير من الحارات والأزقة لا يرى إلا القليل من المارين . كذلك لا يمكننا الحكم من سعة المدينة وضواحيها ، فإن داخل الجدران كثيراً من الأماكن الخالية ، بعضها يتحول إلى بحيرات أثناء الفيضان ^(٢) . ثم إن الحدائق والمقابر الكثيرة وأحواش المنازل والجوامع تشغل مساحة واسعة . وقد عدت بين سكان القاهرة نحو مائة وتسعين ألفاً من المصريين المسلمين ،

(١) وصل مجموع سكان القاهرة إلى هذا العدد ، بعد أن كان نحو ٢٠٠.٠٠٠ منذ ثلاث سنوات أو أربع . ومنذ هذا الإحصاء أهلك وباء سنة ١٨٣٥ بألا يقل من ثلث السكان ، كما ذكر قبل ، ولكن

سرطان ما سد هذا النقص من الريف

(٢) وقد ردمت أكبر هذه البرك ، وكانت تعرف ببركة الأزبكية (ولا زال مكانها يسمى بهذا الاسم) ، وزرعت أشجاراً بعد سنوات قليلة من وضع هذا الكتاب

بلاداً زراعياً على الأخص ، فقد كان يكفي محصول قطنها وحده ، بل ويتفيض ، للحصول على كل منتجات المصانع الأجنبية وكل المحصولات الطبيعية التي تتطلبها حاجة السكان من البلاد الأجنبية^(١)

الفصل الأول

مميزات المصريين المسلمين وهو : سيم

يؤلف المسلمون المصريون الأصل غالبية سكان مصر منذ قرون . وقد أحدث ذلك انقلاباً في اللغة والقوانين والشبائل العامة ، وأصبحت العاصمة المصرية أعظم قاعدة للمارف والفنون العربية . وسيخصص لوصف هذا الشعب — وعلى الأخص الطبقتان الوسطى والعليا في القاهرة — أكبر جزء من هذا الكتاب . ويلاحظ أن شمائل المصريين وعاداتهم تغير الاهتمام بنوع خاص ، لأنها صرّح من تلك للشبائل والمعدات التي تسود الجزيرة العربية وسورية وشمال أفريقية كله وتركبة إلى حد بعيد . وليس في العالم بلد كمصر يمكننا أن نحصل فيه على معرفة تامة بأكثر طبقات العرب تمدناً

ويظهر من الإحصائيات الواردة في مقدمة هذا الكتاب أن المصريين المسلمين — أو المصريين للعرب — يؤلفون تقريباً أربعة أخماس سكان العاصمة ، وسبعة أثمان سكان مصر كلها والمصريون المسلمون من جنس خليط انحدر إلى حد كبير من عدة قبائل وعشائر عربية وقدت إلى مصر في عصور مختلفة ، بمرور الفتوح . وهؤلاء العرب المهاجرون كانوا أولاً قبائل نجوب للصحراء ، ولكنهم تركوا حياة البداوة وتحضروا ، ثم أسهروا إلى الأقباط الذين أصبحوا بالإسلام آمنين ، فأدّى اختلاطهم هذا إلى تكوين شعب كثير الشبه بقدماء المصريين الذين ينتمون إلى الجنس « القوقازي » مع قرابتهم

(١) في ١٨٣٥ شحن من الاسكندرية أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ باله قطن ، وكان ما دفعه التجار يزيد على ٧٠٠٠٠٠٠ . أما الكمية المصدرة في العام الماضي فكانت ٣٤٠٠٠٠ باله ومن أقل من المتاد بكثير

وحوالى عشرة آلاف من الأقباط وثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من اليهود ، والبقية أجانب من بلدان مختلفة^(٢)

ويرجح أن سكان مصر في عصور الفراعنة كان عددهم ستة ملايين أو سبعة^(٣) . ولو أن شيئاً من محصول الأرض في العصر الحاضر لم يصدر ، لمال هذا المحصول أربعة ملايين نفس . وإذا كانت كل الأرض للمصلحة للزراعة تزرع ، لكفى المحصول ثمانية مليون ، وهذا غاية ما يمكن أن تصل إليه مصر في أغزر السنين فيضانياً . ولذلك فإني أعتقد أن المصريين للقدماء في الوقت الذي كانت فيه الزراعة في حالة ازدهار كان عددهم كما قررت سابقاً . كما أنه من الفروض أن عددهم لم يكن يزيد على نصفهم إلا بقليل في عصر البطالسة والعصور التالية ، عندما كانت تصدر كميات كبيرة من الحبوب سنوياً^(٤) . وهذا الإحصاء يتفق مع ما قاله ديودور الصقلي من أن مصر بلغ عدد سكانها في أيام الملوك الأقدمين سبعة ملايين ، بينما في عصره لم يقلوا عن ثلاثة ملايين ومن تأمل في سياسة محمد علي لا يسمعه إلا أن بأسف للفرق بين حالة مصر تحت حكمه وبين ما كان يجب أن تكون ، إذ لم يزد عدد سكانها بكثير عن ربع العدد الذي كان في إمكانها إحاطته . ولقد كان في استطاعة الماهل المظلم أن ينفع شعبه أجزل لنفع لو أنه بدلا من إقتار للفلاحين بزرع الأراضي الزراعية واحتكار المحصولات القيمة ، واستخدام كفاءة السكان في إرضاء طموحه وتحقيق فتوحه ، أو في منافسته للصناعة الأوروبية على غير طائل

كان قد وجه عنايته إلى مساعدة الطبقة في أن يجعل مصر

(١) يتألف تلك سكان القاهرة من المذكور بالفتن . وقد أحصيت من هذا العدد حوالى ٣٠٠٠٠٠ تاجراً من صغار أصحاب الحوانيت والصناع ، و ٢٠٠٠٠٠ من الخدم المذكور و ١٠٠٠٠٠ من الهال والمالين الخ . أما البقية فمكونة غالباً من خدم الحكومة المدنيين والمريين

(٢) أنا لا أتمد كثيراً على أقوال المؤلفين القدماء في هذا الموضوع . (٣) وقد ليج في البعض أنه يصدير الحبوب ، لتسود أشياء ذات قيمة مساوية ؛ وإن تصدير الحبوب أو أي شيء آخر يندش الصناعة وينشط السكان . ولكن أي شيء يمكن استيراده ليقوم بالتغذاء اللازم لشعب عدده يستهلك أكثر من محصول أرضه

عنها فيما بعد . وفي بقاع مختلفة من مصر عاشت تنحدر من العرب
الأولين الذين يترفعون عن التزوج ممن هن أقل منهم جنساً .
وهؤلاء يصعب بل يستحيل تمييزهم من قبائل صحراء الجزيرة
المرية . ومسلمو القاهرة الوطنيون يسمون أنفسهم عادة :
« المصريين » و « أولاد مصر » أو « أهل مصر » و « أولاد
البلد » ؛ وأخرتك للمبارات الثلاث أكثرها شيوعاً في المدينة
نفسها . أما أهل الريف ، فيسمون بالفلاحين (أو الزارعين) ^١
وكثيراً ما يطلق الأتراك على المصريين لفظ الفلاحين ، ويقصدون
به معنى الغلظة والجفاء ، أو ينفذونهم بأهل فرعون لإهانة لهم ،
فيرد عليهم المصريون كلما اجتروا على ذلك بتسميتهم أهل غرود
وتتراوح طول المصريين بين خمس أقدام وثمان بوصات ،
وخمس أقدام وتسع بوصات ، وأغلب الأطفال تحت سن الثامنة
أو العاشرة دقائق الأطراف ضخام البطون ، ولكن ... سرعان
ما تتعفن أشكالهم كلما تدرجوا في النمو ، فلا يلبثون أشدهم
حتى تتناسب أعضاؤهم بشكل ظاهر . فالرجال أقوياء مفتولون
للمضلات ، والنساء جيلات للتكوين بدنيات من غير إفراط .
ولم أر في المصريين بداية إلا في القين أخذوا إلى حياة البطالة
في العاصمة وفي غيرها من المدن

عبد الله طاهر نور

(يتبع)

إلى الجنس الأسود على درجات مختلفة ، وهذا الشبه يبدو تاماً
في عدة أفراد منهم على الجملة ، وعلى الأخص في القبط والنوبيين ،
وهو في مسلمي مصر الوسطى والعليا أكثر شيوعاً ووضوحاً ،
ولكنهم مع ذلك ليسوا أقل عروية من أهل الحضر في الجزيرة ذاتها ،
إذ فشت فهم منذ القدم عادة اقتناء الجوارى من قبائل الجلا
Galla والأجاش ، إما للزواج وإما لتسرى . ولذلك كان عرب
اللدن الآن يشبهون الجلا والأجاش بقدر ما يشبهون البدو .
وهذا — على الأقل — هو الحال في مدن الإقليم الجنوبي
الغربي من بلاد العرب ؛ أما الجهات الجنوبية ، فالحضريون فيها
أكثر اختلاطاً بالهنود وأجناس الملايا والإفريقيين كذلك .
فالمصريون عامة والعرب كذلك — ولو على درجة أقل — يترفعون
يمرق إلى أهل أفريقيا الأصليين . ويلاحظ أن لفظ « العرب » ^(١)
يطلقه سكان للبلاد الميرية الآن على البدو في مجموعهم ، ويطلقون
كلمة « اللريان » على أهل القبيلة أو على القليل منهم . أما الأفراد
فيسمى « بدوياً » . وقد زال التمييز بين القبائل تقريباً في
العاصمة وفي غيرها من المدن المصرية ؛ ولكنه لا يزال باقياً
بين الفلاحين الذين حافظوا على عادات بدوية كثيرة سأتكلم

(١) هنا اللفظ كان يستعمل أولاً للإشارة إلى العرب الحضريين ،
بينما كان العرب الرحل يسمون « أمراً » ، وعرب اللدن يطلقون الآن
على أنفسهم « أولاد العرب »

القوات المربطة

تقبل المعطيات برياضة القوات
المربطة بشارع اسماعيل باشا سرى رقم
٢٤ بالمنيرة بمصر لغاية ظهر يوم ٢٥
سبتمبر سنة ١٩٤١ عن توريد ملابس
ومهمات وصنادل جلد وأدوات نظافة
وحصير سمار . ثمن النسخة من الشروط
٦٠ ملياً ويقدم الطلب على ورقة دمغة

٨٥٦٥

إعلان

يعان مجلس مديرية الشرقية حاجته
إلى طبيين بمرتبة ١٢ جنباً شهماً
للوحدات الصحية المتنقلة . فلي من
يرغب الالتحاق بأحدى هاتين الوظيفتين
أن يقدم طلباً لمجلس مديرية الشرقية
على الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح في ميعاد
لا يتجاوز ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤١
مصحوباً بجميع المؤهلات وسابق
الخدمة .

٨٥٧٠

بالي القاهرة

وقفه على دار

للدكتور إبراهيم ناجي

قِفْ يَا قُودُ عَلَى التَّمَازِلِ سَاعًا فَمَا الشَّبَابُ عَلَى الْأَحْبَةِ ضَاعَا
وَهَذَا أَذَلُّ إِبَاءٍ مُتَكَبِّرٍ أَمَرْتُ عِيُونَ قَلْبِهِ فَأَطَاعَا
أَحْسَنْتُ بِالْأَدَامَةِ الْقَدِيمِ وَعَادَتِي جُرُحُ أَيْتٍ لِعَهْدِهِ إِزْجَاعَا
وَمَشَى مَعَ الْأَلَمِ الذُّهُولُ كَأَنَّما طَارَتْ يَلِيَّ الْخَادِنَاتُ شَعَا
كَثُرَتْ عَلَى مَتَاعِي فَمَحَوْنِي وَمَحَوْنَ حَتَّى السُّمُّ وَالْأَوْجَاعَا
يَا مَنْ هَجَرْتَ لَقَدْ هَجَرْتَ إِلَى مَدَنِي فَإِلَى الْقَاءِ ۝ وَلَنْ أَقُولَ وَدَاعَا

غيمة

للأديب عبد الرحمن الخنيسي

تَحِفٌ إِلَى صَدْرِ الْمَاءِ نَيْمَةً

رَمَادِيَّةُ الْأَصْبَاغِ مِنْ كَفِّ رَاهِبٍ
أَشَقُّ عَابِ الْجَوْ حَيْرَى كَأَنَّهَا سَفِينَةٌ وَهَمٌ فِي خَوَاطِرِ كَاتِبٍ
يُنَادِيهَا بِجُرِّ نَدَى مُنَوَّرٍ وَيُطْلِقُهَا فِي أَرْجَوَانِ الْعَوَاكِبِ
وَتَرَضِيهَا مَسْفُوحًا الشَّمْسُ وَقَفَا تَرِيقُ دِمَاهِ أَتَقَى هَامَ الْمَغَارِبِ
وَتَرَقَّبُ دَمْعَ الْبَدْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَتَسْبَحَ فِي غَمْرِ مِنَ الثُّورِ ذَائِبِ

من لواجب الذكرى

للأستاذ محمد كامل حته

أَبَى أَيْفَ مَاتَتْ مَعَانِي الرِّثَاءِ عَلَى شَفَتِي وَغَضَّ الْقَلَمُ ۝
وَكَيْفَ احْتَوَانِي ذَهولُ الْفَنَاءِ عَشِيَّةً غُيِّبَتْ بَيْنَ الرُّمِّ ...
وَأَيْنَ الدُّسُوعُ ، وَأَيْنَ الْبَكَاءُ يَمُوجُ عَلَى شَاطِئِهِ الْأَلَمُ ۝
وَأَيْنَ الرِّثَاءُ يَهْزُ السَّمَاءُ وَيُذِمُّ الْجَفُونَ وَيُذَكِّي الضَّرَمَ
تَأَبَّتْ عَلَى غَنُوفِ الْعِرَاءِ وَجَارَتْ عَلَى هُمُومِ الْعَدَمِ

فَأَعُوزَنِي يَوْمَ مِتَّ الْوَفَاءُ وَمَا أَنَا فِي النَّاسِ بِأَلَمِهِمْ
كَأَنِّي وَقَدْ حُمِّ فَيْكَ الْقَضَاءُ ذَيْبٌ تَحْشُرُجَ فِيهِ النِّعَمُ ۝

تُرَى كَيْفَ مَرَّتْ عَلَى الشُّهُورِ وَكَيْفَ انْقَضَى الْعَامُ وَالْآخَرُ ۝
وَكَيْفَ احْتَوَانِي صَمْتُ الْقُبُورِ وَأَخْرَسَنِي وَحْيُهَا السَّاحِرُ ۝
وَبِى لَوْعَةٌ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ تَلْظِي بِهَا الْقَلْبُ وَالْخَاطِرُ
وَمَا فِي بَيَاقِي وَفَى أَوْ قُبُورِ وَلِي مِنْطِقُ السَّعْفِ الْهَادِرُ
لَقَدْ خَدَعْتَنِي الْمَتَى وَهِيَ زُورُ وَغَرَّرَ بِي الْأَمَلُ النَّادِرُ
فَأَقْسَمْتُ سَاقِي الرَّدَى لَنْ يَدُورُ عَلَى مَهْجَتِي كَأَنَّ الدَّائِرُ
فَدَارَتْ بِي الْكَأْسُ ظِلْمًا يَتَوَرُّ وَغُولُ الرَّدَى مُطْبِقٌ كَاشِرُ ۝

هُوَ الْمَوْتُ قَدْ رَوَّعْتَنِي رُؤَاةُ فَذَابَ جَنَانِي فِي قَبَضَتِهِ
وَأَعُولَ فِي دُنْيَايَ صَدَاةُ وَغَامَتْ حَيَاتِي عَلَى صَفْحَتِهِ
فَلَمَّا تَقَشَّعَ عَنِّي دُجَاهُ تَلَفَّتْ ، وَالْقَلْبُ فِي غَشِيَتِهِ
فَأَلْفَيْتَنِي فِي خِصْمِ الْحَيَاةِ سَهِيضَ الشَّرَاحِ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَحَيْدًا تَرَوَّعُهُ فِي مُرَاةِ هُمُومٍ تَفْزَعُ مِنْ وَحْشَتِهِ ۝
وَأَيْنَ الْعِرَاءُ ، وَكَيْفَ النِّجَاهُ ؟ سَوَّالٌ يُدْخِلُنِي فِي وَحْدَتِهِ
وَأَيْنَ أَبِي ؟ فِي جِوَارِ الْإِلَهِ يُبْلِقِي الْكَرَامَةَ فِي جَنَّتِهِ ۝

إلى البدر...

للأديب محمد عبد السلام كفاي

سميرك يا بدر الدجى كاد يغربُ ويحجبه من عالم الموت غيبُ
أَرَانَا تَشَابَهًا فَإِنَّكَ فِي الدَّجَى مَنَارُ وَائِي فِي دَجَى الْيَأْسِ كَوَكَبُ
وَنَحْنُ بَنُو أُمِّ كَلَانَا سَلِيلُهَا وَلَكِنَّا فِيهَا نُورَانِي وَنُحْجِبُ
فَوَيْلَكَ إِنْ أَلْقَتْ عَلَيْكَ بَظْلُهَا وَوَيْلِي إِذَا مَا فِي ثَرَاهَا أُغْيِبُ
وَلَكِنْ تَخَالَفْنَا فَأَنْتَ تَعُودُ مِنْ غُرُوبٍ وَلَنْ آتِي إِذَا حَانَ مَغْرِبُ
وَأَنْتَ صَلِيبُ الْقَلْبِ لَكِنِّي فَتَى فَوَادِي بَالُوَانِ الْمَهْمُومِ مَعْدَبُ
فَكَمْ بَاتَ قَبْلِي سَامِرُونَ مَدَى الدَّجَى

طوتهم من الماضي سنون وأحقب
تناجيك أشعار لم وأهازج
ويشجيك ناي خالد العن مطرب



تقتلح من اللغة إلا بمقاء، وفوض أمره وأمر اللغة إلى الله !
فأرى أستاذنا (أ.ع) فيمن يخبره أن اللغة للمربية
عرفت هذا التعبير قبل أكثر من تسعة قرون ! ما رأيه
في قول ابن رشيق وهو من أقطاب الأدب العربي :

قد أحكمت مني الذباج رب كل شيء غير جودي
أبدأ أقول لأن كسبت لأفهنني يدى شديد
حتى إذا أريت عند ت إلى السباحة من جديد
أبراني أجبت ! إن لم يقنع فأسرجع إلى مصاولته من جديد
وإن اقتنع فأنا أقتار منه جائزة سنوية على هذا الجواب ، والسلام
٢ - مشكلة مبريرة

قبل ظهور العدد الماضي بثلاثة أيام قدمت الكلمة السابقة
لمطبعة الرسالة ، وراعى أن أجد أحد الأدباء سبقني بكلمة عن
آيات ابن رشيق ، ولم تكن تلك الآيات بعيدة مني ، فهي من
شواهد كتاب « الموازنة بين الشعراء » ولكن الحظ قضى بأن
تكون « الجائزة السنوية » من حق ذلك الأديب وقد وصلت
كلته قبل كلتي

وهنا تظهر مشكلة جديدة تصورها الأسئلة الآتية :

- ١ - حكم الأستاذ الكبير (أ.ع) بأن عبارة « من جديد » لم تكن شائعة بيننا قبل نحو عشر سنين ، فهل يؤمن بقيمة الاستقراء الفردي في اللغات ؟
- ٢ - وحكم بأنه ما كان يقوم قط أن تصل هذه العبارة يوماً إلى أقلام اللبلاء ، فهل يتفضل فيشرح الأسباب التي تمنع وقوع هذه العبارة في كلام بليغ ، ولو صح للقول بأنها منقولة عن اللغات الأجنبية ؟

٣ - ورجع للقول بأنها مترجمة عن الإنجليزية ، وأقول إن لها نظيراً في الفرنسية ، فهل يجب أن نأق من لغتنا كل عبارة لها نظائر في لغات الأجانب ؟

٤ - قال أستاذنا (أ.ع) إنه جهد في أن يخرج هذا التركيب في مختلف أوضاعه تخريبياً سائناً فلم يوفق ، ثم قال : « قد يكون للتقدير في عبارة الدكتور (من وقت جديد) أو (من شيء جديد) أو (من أمر جديد) مثلاً ، ولكن كيفما قدرنا هذا الموصوف أنقينا الكلام غناً لا معنى له »

١ - ما رأيكم في هذا الجواب ؟

لأستاذنا الكبير (أ.ع) فضل في تقييد ما يقع في أقوال الكتاب والشعراء من التماير الدخيلة في اللغة للمربية . وهو يخصني بالناية فيتناول كلامي بالنقد من حين إلى حين ، وإن كان في يأس من إسمائي إليه في كل وقت ، لأنني أرى من حق للكتاب أو للشاعر أن يدير التعبير كيف شاء ، وفقاً للصورة التي تمثل في ذهنه وهو يساور بعض المعاني والأفراض

ومن أغلاطى عنده عبارة « من جديد » وهي كثيرة الدوران في كلامي ، ويرى أستاذنا (أ.ع) أنها « من التعبيرات التي تسربت حديثاً إلى لغتنا ، فتداولها للكتاب من غير تعحيص ، ولا وزن لصحتها اللغوية ، ولا لصلاحيتها لأن تندمج في الأساليب للفصيحة وتندو جزءاً منها » ثم قال : « وما كنت أنوم قط أنها تصل يوماً إلى أقلام اللبلاء » وبعد أن رجح أنها « من التراكيب الأفرنجية الكثيرة التي شوهتها الترجمة للقيمة » ناطف فقال : « أفلا يرى من حفرة الدكتور أنه يجدر بنا أن نحارب هذه الطفيليات في لغتنا ، وأن نقضى عليها قبل أن يمتدري فيها شرها ؟ »

واتفق أن صرفتني الشواغل عن الجواب فكتب الأستاذ بعد ذلك بأسابيع كلمة يقرر فيها أن عبارة « من جديد » لن

وولوا ولم تحزن عليهم بدمعة ولكن على أجدانهم بتلعب حكيت فتاني في الملاحاة والسنى وتحكيك منها قسوة وتجنب كأنك منها وهي منك تحدرت

فليست إلى الأرضين تُسمى وتنسب أراها على أفق الجمال تربعت يداعبني منها شعاع محبب فيوهن بأى حبها ويهت من قوى عزوتي والحب أقوى وأغلب فويلي يا بدران - إن مت منك فلا هي تبكيه ولا أنت تندب

Kerosene للجاز ، وموضوع « البترول » موضوع كيميائي متشعب . والمكتبة الإفريقية غنية بالمصنفات المديدة عنه نظراً لأهميته الحيوية لجميع الأمم ، سواء المتحاربة أم السالمة ، فإلى مصنع يشتغل ، أو سيارة تتحرك ، أو طائرة تحلق ، أو قطار يسير ، أو بيت يعمر بأهله ، إلا كان للبترول ومشتقاته فضل كبير في ذلك : فإلى يستخرج بزين للسيارات والطائرات ، ومنه تستوقد التيران في المنازل بالجاز ، ومنه زيوت للتشيع بأنواعها المختلفة ، ومنه زيوت الديزل والمازوت للوقود ، ومنه الشمع ، ومنه الأسفلت . وأما كلمة « الجاز » التي شاعت على لسان الجمهور فأغلب الظن أنها مأخوذة من أحد زيوت البترول المسمى جاز أويل Gas Oil وهو نوع خفيف من زيت الديزل ويستضاء به أيضاً

وإذا كان قد جاء في المختار والقاموس والمصباح أن النفط ضرب من السرج يستصبح به ، وأن النفطة منبت النفط ومنبمه ، فأظن أنه بعد التقدم العلمي في دراسة البترول وتقسيم مشتقاته لا يكفي . فعلى علماء الجمع اللغوي أن يحددوا اللفظ المقابل لكل من المواد السالفة الذكر ، بعد أن اتضح أن الجاز شيء والبترول شيء آخر

أحمد علي الثبات

كيميائي

استيضاح

في العدد (٤٢٥) كتب الأستاذ الكبير (أ. ح) تقياً لغوياً على الدكتور زكي مبارك جاء في هامشه ما نصه : « ويكنى عن الأمر بكذا ؛ إلا أن (كذا) تفرد إن لم يتعد الفعل . قال في (المصباح) : ويكون كتابة عن الأشياء ، يقال فعلت كذا ، وقلت كذا ؛ فإن قلت : فعلت كذا وكذا فليتمدد الفعل اهـ » وفي هذا القول نظر ، كما يقول الأسلاف إذ جاء في مختار الصحاح ما نصه : « تقول فعل كذا وكذا » و « تقول عندي كذا وكذا » وهذا يفيد جواز تكرار (كذا)

وقول المصباح : « فإن قلت : فعلت كذا وكذا فليتمدد الفعل » منهم محتاج إلى توضيح ، إذ لا نفهم معنى تمدد الفعل هنا ؛ أبغض تمدد الفعل من الفاعل ، أم بقصد تمدد الفعل في الجملة

ومن حق أن أسأل أستاذنا عن الموجب لهذا التقدير وهو من صور التشكاف والافتعال ؟ يضاف إلى ذلك أن البحث عن أصول التمايز يضيغ للترض الأصيل وهو الإيجاز ويُفقد التمايز حظها من الدانية الببانية

إن أجاب سعادة الأستاذ عن هذه الأسئلة بما يقنع فله عندي جائزة سنوية ، على شرط أن يخص السؤال الثاني بالمناية والاحتفال زكي مبارك

من جبرير

اطلعت في العدد (٤٢٧) من « الرسالة » على كلمة للأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة ، بمقرب بها على ما كتبت في تخطئة قول بعضهم : « من جديد » ؛ ويستشهد لعربية هذا التعبير بما رواه لابن رشيح القيرواني في إحدى قصائده

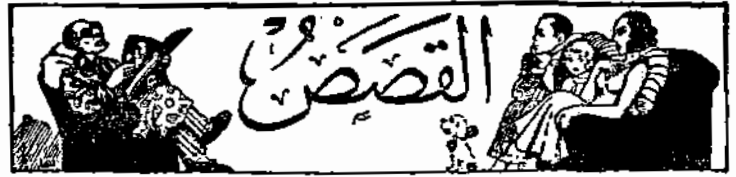
ولقد طربت — علم الله — لهذا التصويب ، وإن كان لا يزلنا منزلة اليقين ؛ ولكنه — كما قال الأستاذ — يعيل بنا إلى الجزم باتباع هذا التعبير إلى العربية الصحيحة ، ويبعد بنا عن فكرة أنه مترجم عن الإنجليزية لتقديم عهد

وإني أشكر للأستاذ إفادتي وخدمته للغة بكشفه هذا هدانا الله إلى السداد ، وألهمنا للصواب فيما نقول ونعمل .

« أ. ح »

الذي مراك العالم !

تساءل الأديب الفاضل أحمد الشرياصي في العدد الخامس والمشرين بعد الأربعائة من « رسالتنا للفراء » عن السبب في تسمية « الجاز » السمعيل في المنازل بأسماء مختلفة ، فقال : إن الحكومة تكتبه في البطاقات التي تعطى شهرياً للجمهور باسم « الكيروسين » ، وكتاب السياسة يسمونه « البترول » ، والعامية تسميه « الجاز » ؛ ويقترح الأديب أن يطلق عليه « النفط » ، كما كان يسميه العرب وتسمى منابه « النفطات » والواقع أن « الجاز » أحد مشتقات عديدة تستخرج من زيت معدني هو البترول ، أي أن كلمة « الجاز » لا تترادف كلمة « البترول » ، وللملافة بينهما هي علاقة الفرع بالأصل . وأما كلمة « الكيروسين » ، فهي ترجمة إفريقية علمية صحيحة



ذهب آل هوهنزلرن

تأليف الكاتب الإنجليزي سي. فورستر

للأديب سيد إبراهيم البكار

— — —

عند ما كان ابن عمي بريان طالباً بالطب ، كان كثيراً ما يهتزلن إلى منزلي ، وخاصة عند ما يكون في حاجة شديدة إلى التعود . أما الآن وقد أصبح طبيباً ناجحاً فلم أعد أراه أو أسمع صوته . لذلك كانت دهشتي شديدة ، عند ما دق جرس التليفون في أحد الأيام وكان للشكلم بريان . وسألني عما إذا كان في استطاعتي أن أستغني عن جزء من وقتي ليوافقني الرأي في أمر هام . وقد انتهى حديثي معه بأن دعوته إلى العشاء .

ومع أنني كنت مشغولاً إذ ذاك بعرض إحدى رواياتي على مسارح لندن ، ومنهمكا في درس تفاصيل اتفاق مع إحدى الشركات التأمينية على شراء رواية أخرى ، فإني كنت مشتاقاً وتقديره مضمراً أفسره المذكور ، أم ماذا ؟ مع ملاحظة أن الصباح نفسه قد أورد قبل ذلك في المادة نفسها هذه الجملة : « يقال اشترى الأمير كذا وكذا عبداً »

فهل يفضل الأستاذ الكبير (ا . ع) بتوضيح ذلك وتبسيطه لمامة القراء ؟

أحمد الشرباصي

(البجلات)

في اللغة

طالعت بمجريدة الأهرام صباح الأحد كلمة (هناه) في مقال بامضاء (مصري) وتحت عنوان (يا أولياء الأمور) وقد سبق أن أنكر الباحثون وجود تلك للكلمة في اللغة وقالوا إن الصحيح (هناه) لا (هناه) فهل يفضل للمامة وحيد بك بما يؤيد الخطأ أم العكس . ولخصه للشكر (ع . ح)

إلى رؤية بريان ، وقضاء بعض الوقت معه . فقد كان شاباً ظريفاً ، يتفجر حيوية ونشاطاً

وكان لبريان مقدرة عظيمة على ضبط نفسه ، فلم يكلمني في ذلك الأمر الهام حتى فرغنا من تناول العشاء وشرب القهوة . وفي أثناء ذلك أخذ يسألني بكل أدب عن الرواية والفلم ، وعن مدى نجاح مسرحيتي الجديدة . ولم يكن عجيباً أن يلقيني بريان بالعم قد درج على ذلك منذ صغره ؛ ولم أكن من ناحيتي أرى غشاشة في ذلك ، بل كنت أعتبر هذا شموراً طيباً منه نحوي . ولما فرغ بريان من إشمال سيجارته سألتني عن ذلك الأمر الهام الذي كلمني عنه في التليفون .

قال بريان : حسن يا عمي ، كل ما أريده منك أن تصنعني في رحلة على ظهر الدوليسينيا ، والدوليسينها هو الاسم الذي أطلقته على ينجني الخاص .

قلت : يا طفلي العزيز ، لقد كنت تتكلم الآن عن الرواية والفلم . وأنت تعرف أنني أريد أن أنتهي منهما . وعلى ذلك فلن يكون في استطاعتي أن أستغني عن دقيقة واحدة في ستة الأسابيع القادمة .

قال بريان : حسن ، هذا ما كنت أخشاه ، فبعد ستة أسابيع يكون الوقت قد مضى ، وأنت تعرف أن الملاحه في الدانوب تتمطل في أثناء الشتاء .

— الدانوب ؟ وأين تريد أن تذهب ؟ ولماذا ؟

— أنت ترى ، ولكن يحسن بي أن أنكم من البداية .

— إن هذا يكون أكثر إيضاحاً .

— لقد بدأت هذه القصة منذ أسبوعين مع أحد مرضاي وهو بحار ألماني ظريف يدعى « بار » . وكانوا قد حملوه إلى المستشفى من الليناء ، إذ أصابته إحدى الرافعات إصابة خطيرة . وقد بذلت ما في وسعي لإنقاذه فتلكت بذلك ثقته ، وقد ساعدني على ذلك معرفتي باللغة الألمانية . وقبل وفاته بقليل أرسل إحدى المرضات لاستدعائي — ولحسن الحظ كنت موجوداً حينئذ في المستشفى — وأخبرني عن الكنز .

— الكنز ؟

— نعم ، الكنز . إنها تبدو لك رواية خيالية . وقد فكرت

— بالطبع . فقد وقف قطارهم عند تل عال يقع بالقرب من قرية تسمى (ديبلنجن) على نهر الدانوب . وعلى قمة هذا التل صليب تذكارى . وقد تعاون الضابط وباير والرجل الثالث على إخراج الذهب من اللعربة ، وحملوه ليلاً إلى أعلى التل ، ودفنوه هناك على عشر خطوات من للصليب المذكور

وقد قال لي باير إن المال كله كان في صناديق حديدية ، من بينها اثنتان لم يسقطيهما حملهما إلا بصعوبة

— وهل تظن أنه كان يقول الحقيقة ؟

— نعم .. إلى متى أكد من ذلك ناكدي من جلوسى هنا معك

— ولكن هذا لا يعنى أن الكنز لا يزال هناك

— صبراً . فساخبرك من كل شيء في وقته ، فبعد أن دفنوا الكنز رحل الثلاثة : باير ، والضابط ، والرجل الثالث ، قاصدين بلادهم . وقد كان رجوعهم شاقاً ، فقد كانت هناك ثورات في كل مكان ؛ وكانت آثار التخريب والدمار يادية في كل قرية — نعم هذا صحيح ، فقد شاهدت بعيني ما حدث في دول أوروبا الوسطى بعد الهدنة بقليل

— وعلاوة على ذلك لم يكن مع أحدهم الغذاء الكافى . وكانت عدوى الأنفلونزا منتشرة في ذلك الوقت ، وقد أصيب بها الرجل الثالث فمات في فيينا . وبقي باير والضابط . ولما وصلا أخيراً إلى ألمانيا كانت الحرب هناك قد انتهت أيضاً ؛ ولكن كانت هناك فتن وقلقل داخلية . وبينما كانا خارجين من محطة السكك الحديدية في درسدن قذف شخص مجهول قبلة أصابت من الضابط مقتلاً . وأصيب باير بجروح لم تكن خطيرة على كل حال ، فغضى هناك بعض الوقت حتى التئمت جروحه ، ولما نابت إليه صحته صمم على أن يحتفظ بسر الكنز لنفسه وألا يخبر به أحداً ما داموا لم يسألوه عنه . فقد نسي الجميع كل شيء عن هذا الكنز وسط القلق والاضطراب والثورات الفاعية

— ليس هذا بمعجيب

— حسن . منذ ذلك الوقت وباير يبحث عن طريقة يحصل بها على هذا المال ؛ ولكن لم يكن ذلك بالشئ اليسير ، إذ يجب

فيك وهو يقص على تلك القصة المعجبية . ألا ترى مني أنها كذلك ؟ البحار الذى يحتضر يقص على الدكتور الطبيب في المستشفى قصة الكنز المخبوء ، إنما كان يذنب أن تكون مع البحار خريطة يبين عليها مكان الكنز .

— وهل كان معه ؟

— كلا ولكن ما قاله يكفى . لقد قال إنه كان جندياً في الحرب العظمى ، ولم يشتغل بالملاحة إلا أخيراً . وقد كان أحد الحراس الثلاثة الذين أرسلته الحكومة الألمانية لحراسة مقدار من المال أرسلته إلى بلغاريا أثناء الحرب . وقد عهد إلى أحد الضباط حراسة اللعربة المملوءة بالمال . ولما كانت أرض بلغاريا صخرية وعرة ، فقد وصلوا إلى هناك متأخرين . وأنت تعرف أن بلغاريا كانت أسبق الدول التى بادرت إلى التسليم

— نعم . هذا صحيح . ولا زلت أعجب كيف أن الشبان الذين لم يكونوا إلا صبية سنار في سنة ١٩١٨ يعرفون عن معركة هاستنج أكثر مما يعرفه آبائهم وأعمامهم الذين خاضوا غمارها وذاقوا ويلاتها

وعاد بريان يقول : لقد كانوا قريبين من الحدود عند ما سلمت بلغاريا . ولما سمع الضابط أن جيشاً إنجليزياً كان في طريقه إلى صوفيا أمر بتحويل حربة الكنز إلى خط آخر ، ووصاهما بالنظر القهاب إلى ألمانيا . ولم يكن سيرهم سهلاً ، لأن خطوط السكك الحديدية كانت غير منتظمة . وكانوا لا يزالون في هنغاريا عند ما سلمت النمسا أيضاً

قلت : هذا معقول جداً . فالنمسا كانت ثانية الدول التى سلمت واستطرد بريان يقول : وهكذا كانوا هناك مع حربة من عربات السكك الحديدية ملأى بالذهب . ولم يكونوا قادرين على التقدم ولا على الرجوع . وكان عليهم أن يسلموا عملاً حازماً سهياً . ولما حملهم على ذلك أيضاً أن التشيك والرومانيين كانوا يسرون في أنجابههم . وكان الإيطاليون يتقدمون نحو فيينا . وبالطبع لم يكن الضابط يريد أن يستولى الخفاء على ذلك الكنز ولذلك دفنوه

قلت : وهل أخبرك أين دفنوه ؟

— أشكرك يا عمى . ستأخذ نصف الكنز . هل تقبل ؟

إننا سنستخدم بخنك كما تعلم

ردى ما قاله إلى عالم الحقيقة مرة ثانية . لقد رن كل شيء
في أذنى مقولاً إلى الآن . ولكن عند ما أخذت أنظر فى الأمر
عن كئيب بدالى كل شيء أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة
الواقعة . فاكشفت للكنز المخبوء لا يكون إلا فى القفص
والروايات

وقطع على بران سلسلة تأملاتى بقوله :

— كم تظن من المال هناك ؟

قلت : أنا لا أعتقد أن دولة كبيرة كالأانيا ترسل إلى بلغاريا
فى أثناء الحرب أقل من مليون جنيه . أليس كذلك ؟
وتناولت ورقة وقلماً وأخذت أحسب

— كل شيء حسن . لقد حسبناها أنا ودوروى . نحن
نستطيع أن نحمل مليون جنيه على ظهر الدوليسيتيا بكل سهولة
وأخيراً اتفقنا على كل شيء . سأضع يحنى تحت تصرف —
بران ؟ وعند ما يأتى بالمليون سيعطى عشر هذا المليون . وأنا
أعتقد أن مائة ألف جنيه تكفى مجزاً مثلى لى يقضى بقية
حياته فى هدوء واطمئنان . ويستطيع بران أن يأخذ باقى المليون ،
وإذا لم يستطع إنفاق كل هذا المال فليهد أن يعيد بناء مستحق
لندن . وكنت أعرف أن بلاد الدانوب مليئة بالفتى والقتل ،
وأهم سيتمرضون لكثير من المخاطر . فلما أبدت مخاوى إلى
بران انقسم وقال :

— إن دوروى تحب الفاسرات ، وهى تخوض المخاطر
بشجاعة منقطعة النظير . وعلى كل حال نحن نعرف كيف نحفظ
برؤوسنا سليمة ، فلا نخف

وأخذنا نناقش فى بعض التفاصيل الخاصة بالرحلة ، وإعدادها
المدة لها ، ولم يبرح بران منزلى إلا بعد الساعة الرابعة صباحاً

وأخيراً أتى اليوم الحמיד ، يوم زواج بران ودوروى .
ولم أستطع التخلص من مشاغل إلا بصوبة . وما صدقت أنى
أصبحت حراً طليقاً ، من أوامر الاستديو ، وقيود التجارب
فى يوم بأكله ، حتى قصدت الكنيسة حيث أقيمت مراسم
الزواج ، ووقمت باسمى شاهداً فى السجل الخاص بالزواج ، ثم

عليه أن يجتاز بعض الحدود ، ويترس للشبهات والظنون . فضلاً
عن ذلك فإن هذه الرحلة الطويلة الشاقة تتطلب كثيراً من النقود
ولم تكن النقود متوفرة لديه . وكان يخاف أن يطلب معونة أحد
حتى لا يطلعه على سره . لذلك أخذ ينقل من عمل إلى آخر ،
منتظاراً حدوث معجزة تدنيه من غرضه . ولكن لم يتحقق حلمه ،
فقد كان آخر عمل له أنه كان بحاراً على ظهر هذه السفينة الألمانية ،
ولم يمش طويلاً ؛ فقد مات بعد أن قص على هذه القصة

— وهل معمه أحد وهو يخبرك بهذه القصة ؟

— كلا . إن هذا مستحيل . ومع ذلك فقد كان يكلمنى

باللغة الألمانية

— حسن ، كل شيء يكاد يبدو حقيقياً ، ولكن ما هى
خطبتك ؟

— أريد أن نركب الدوليسيتيا إلى هناك ، ويمكننا أن نبحر

إلى أعلى نهر الرين ، ونعبز القناة الواصلة بين الرين والدانوب

— يا إلهى ! لقد نسبت كل شيء عن هذه القناة

— ومن ثم نزل إلى الدانوب ، من فينا ، وبعد ذلك نرسى

عند ديلجمه ، ثم نحمل الكنز ليلاً إلى الليخت . وأنت تعرف

أن الليخت أكثر صلاحية لتخبة الكنز من السيارة . ولن يرتاب
فيما إنسان أو يشك فى الأمر أحد

— هه !

— ستأتى معنا . أليس كذلك ؟ سنكون أنا ودوروى

مسرورين بمحببتك

— دوروى ؟ يا للشيطان ! وما الذى أدخل دوروى فى الأمر ؟

ودوروى هى خطيبة بران

— نحن على وشك الزواج ، وسنكون هذه الرحلة بمثابة

شهر العسل لنا

— فليبارك الله نفسى . هل تظننى أحبك وأتطفل على

زوجين فى شهر العسل ؟

— لكننا لا نبالى بذلك

— ربما لا نبالون أنتم بالأمر ؛ ولكنى أنا أبالى . إنى

أفضل أن يحتل هالى — كما أتوقع لنفسى — بهذه التجارب
وهذا الفلم . أما أنت فخذ الليخت ، ولكن لا تمنأنى أن أحبك

الكبير . كنت في الحقيقة بين الشك واليقين ، وكنت في اضطراب ذهني ، وقلق فكري ، عند ما أتى بريان ودوروثي لينتقداني عما أعاني

قلت عند رؤيتهم : حسن ؟

قال بريان : نحن مسروران لرؤية عمي المؤلف العظيم وقالت دوروثي : لقد رأينا ونحن في التناكبي جوع الجماهير المحتشدة وهي تتزاحم على شراء التذاكر لرؤية مسرحيتك الخالدة !

قلت : لعنة الله على المسرحية ، لتكلم عن الكنز أولاً قال بريان : حسن ، ولكن اسمح لي أولاً بشيء من الشراب يا عمي

وأحضرت إليه ما طلبه ، ثم أخبرته الخادم أن الدكتور والمسرح سوف يستسيقان للعشاء . ثم استدرت نحوها وقلت : حسن وابتدأ بريان يقول : لم تكن رحلة رديئة بالنظر إلى الدين كماؤا يرافقوني

ورمته دوروثي بمخدة صغيرة

قلت وقد شعرت بالغضب لقدخلها : لا تكوني طفلة حديثة الزواج هكذا ! أترك هذا الطفل الأحمق يقص قصته بطريقته الخاصة وعاد بريان يقول : لم تكن الرحلة تستحق الذكر . إلا أن النهر كان مليئاً بالقوارب الكبيرة والجوارات الضخمة التي كانت تحدث صوتاً طائلاً ، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع كلامك نفسه ؛ وقضيتا يومين على هذا الحال . أما الليخت فيجب عليك يا عمي أن تضع فيه ما كينة فاخرة بعد ذلك . لقد كنت أقول دائماً إنك ستستعمل الليخت عاجلاً أو آجلاً

قلت بضيق : سأفعل ذلك في المرة القادمة

— هذا من نهر الرين . أما للملاحة في المانوب فقد كانت حسنة . إنه نهر واسع جميل ، وكانت الرياح تساعدنا ، وكانت الأمواج هادئة ، وبعبارة أصح كانت الرحلة موفقة . آه ، لقد نسيت أن أخبرك عن العبور من هولندا إلى ألمانيا . كان علينا أن ندفع ...

قلت وقد نفذ صبري : أنا لا أهتم بما ندفعه . استمر في قصتك

قلت للمزوسين الحميدين إلى مرسي البوليسينا . كان أمانى ستة أسابيع قبل أن أراها ثانية . ولا أقول إن هذه الستة أسابيع صرت ييظه ، أو إلى قضيتها على آخر من الجبر ، فقد كانت مشاغلي كثيرة . كان أمانى الرواية المسرحية ، ومضايقات التجارب التي لا تنتهي ؛ ثم هناك أيضاً للفلم ، ولا يستطيع من يشتغل بإخراج فلم أن يجد من وقته لحظة واحدة يقضيها في هدوء وسلام . وعند ما انتهى الفلم وأصبح صالحاً للعرض ، كان لا يزال على أن أنتهي من هذه الرواية بسرعة ، وقد انتهت منها في الوقت الذي تمهدت بتقديمها فيه إلى الناشر . وعند ما انتهت من هذا كله أحسست كأن عبثاً ثقيلاً أزعج عن عاتق . ومن ثم أخذت أفكر طويلاً في البوليسينا ، وكنت أتخيلها وهي تأخذ طريقها عبر القناة بين مرتفعات بافاريا ، ثم أتخيلها وهي تندفع مع التيار في نهر المانوب ؛ ثم أتخيلها وهي تثير شكوك البوليس في سبع دول مختلفة

وكنت أواظب في أثناء ذلك على قراءة الجرائد الأجنبية . ولكني لم أعثر فيها على أي نأ بالتبعض على زوجين انجليزيين بهجة التجسس أو مرفة كنز . ولكنني مع ذلك أخذت أتضيق ، وأوشك صبري أن ينفد عند ما سمعت جرس التليفون يدق فجأة ، وكان للترنك يناديني من سنوهمابتن

— هالو اعمى القدر رجسنا ثانية . وكان الصوت صوت بريان

قلت : وهل أننا بخير ؟

قال : نعم وقد وجدنا الكنز

وسحت فجأة : وجدتما ماذا ؟

— وجدنا الكنز كله سليماً . ألم أقل لك إنني سأجده ؟ سأخبرك بكل شيء في هذا المساء . نحن الآن في المحطة على وشك ركوب القطار إلى المدينة

وربما كان أول ما خالج نفسي من مشاعري هو الاطمئنان لعودتهم سالمين ، ولكن مع هذا طغى على فضول هائل لمعرفة كل شيء عن الكنز . وقد كنت ما أزال في ريب من أن هذه المناصرة قد انتهت بهذه التسهولة . وعهدني بالمناشرات أنها لا تتحقق إلا في الروايات الخيالية التي كتب أولف منها العدد

— حسن ، لقد عبرنا تشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر ، وكان كل من يرى الراية الزرقاء ترفرف على اليخت لا يفهم السبب الذى حدا بيخت إنجليزى خاص إلى الميناء إلى أواسط أوروبا ، ولكنهم اعتادوا رؤيتنا فلم يسهبوا لنا متاعب عند رجوعنا أخيراً بالذهب ؛ وكان كل مكتب جمارك يدعونا ليلقى علينا بعض الأسئلة من المكان الذى أتينا منه ، وعمما تفعله ، وإلى أين نحن ذاهبان ، وكان أكثرهم يتظاهر بأنه لا يعرف الألمانية قلت وقد عجل صبرى : ائمة الله على الألمانية ! ألم تذهب أخيراً إلى دبلنجن ؟

— نعم فى آخر الأمر ، وكان أول شيء بدالنا من دبلنجن هو الصليب التذكارى على المرتفعات القريبة من الماء . وكان هناك خط حديدى يجوار التل كما قال بارتاماً ؛ وكان علينا أن نذهب إلى الشاطئ ونعبر شريط القطار ، ثم نصعد إلى قمة الجبل ، ولما وصلنا إلى ذلك الصليب التذكارى خطوط عشر ياردات إلى الشمال منه ، وكان كل شيء حسناً — ماذا تعنى بقولك حسن ؟

— لقد قال بارتام الصديق ، فقد كان هناك كتيب صغير من الرمال وحشيش نام لا يلاحظه إلا من يعرف مكانه بالضبط . وعلى ذلك فقد رجعنا إلى اليخت ، وانتظرنا إلى أن أتى الليل ، وكان الانتظار طويلاً وبملاً ، إذ كان يلوح لنا أن الوقت لا يتقدم . ولما خيم الظلام على السكون ، ذهبنا إلى الشاطئ ثانية ... وكنت قد اشتريت جرافاً أثناء مرورى بمدينة فينا ، فأخذناه معنا واجتزنا شريط القطار ، وكان قطار الشرق السريع الآتى من استامبول يمر فى ذلك الوقت ... فانتظرنا حتى مر ، ثم ارتفعنا التل فى الظلام . ولم يكن من السهل المشور على ذلك الصليب التذكارى فى هذا الظلام الشامل ... ولكن كان من حسن حظنا أننا قد أتينا إلى هذا المكان فى النهار ... فجلست للفرصاء ، وأخذت أحسب الأرض لىكى أعتز على كتيب الرمل ... ولما وجدته بدأت أحفر فى ذلك المكان ... ولم أحفر كثيراً ، فبعد أن حفرت ثلاث بوصات بدأ الجراف يحدث صوتاً مسموعاً نجم عن اصطدامه بشيء معدنى ، وكان ذلك الشيء صندوقاً

حديدياً كبيراً ... وبذلنا أنا ودوروثى مجهوداً كبيراً حتى أخرجناه من الحفرة ... ! وكان هناك صناديق أخرى فى تلك الحفرة . وكنت أعرف أننا إذا أخرجناها كلها من الحفرة فلن نجد الوقت الكاف لىكى نحمّلها إلى اليخت قبل طلوع النهار . وهذا يعنى أن بنضمها سيق على التل إلى النهار ، وسيظهر الناس على حقيقة الأمر كله . لذلك آثرنا أن نحمّل هذا الصندوق أولاً ، ثم نحمّل بقية الصناديق فى الليالى التالية . وعلى ذلك ، فقد ردنا الحفرة بمهارة ورجعنا إلى اليخت بالصندوق الأول ، وكان ثقيلًا . وقد حدث أن وقع على قدمى ، وكشط الجلد كله ، وكانت دوروثى هى السبب فى ذلك ...

وصاحت دوروثى معارضة : كلا ، لست أنا ...

وصحت غاضباً : كوني هادئة ، أيتها الطفلة ...

وعاد بريان يقول : حسن ، بعد ما اجتزنا شريط القطار

أوصلنا الصندوق إلى اليخت بواسطة قارب ، ثم وضعناه أخيراً فى الكابينة ، وكان أمامنا وقت كاف لىكى نحضر صندوقاً آخر ، ولكننا آثرنا أن نفتح ذلك الصندوق أولاً أنزى ما بداخله

وكأنما تمعن بريان مضائقى ، لأنه اختار هذه اللحظة بالذات لىكى يشمل سيجارته ، ولكننى امتنعت عن أى معارضة وانتظرت بفارغ الصبر حتى انتهى من هذه العملية وعاد يقول : — ولم يكن فتح الصندوق بالشئ الصعب ، فقد كان التفل قديماً قد أنلفه الصدأ ، فلم نجد صعوبة فى كسره ، وكان ...

فقاطعته وأنا أقول بلهفة : وماذا وجدتم فى الداخل ؟

— وجدنا المال الذى قال عنه « بارتام » ؛ ولكنه كان أوراقاً

مالية ، وبالطبع كانت هذه الأوراق من الطبعة التى أصدرتها ألمانيا أثناء الحرب . وكان فى الصندوق نصف مليون فرنك إن لم يكن أكثر ؛ وأظنك اشتريت لى أوراقاً من هذا النوع بعد الحرب مباشرة لىكى ألعب بها ، وفى الوقت الذى خرجت فيه هذه الأوراق من دائرة التعامل ، كان المائة ألف منها تساوى بنساً واحداً على ما أظن !

سيد إبراهيم البطار